الميزاب الذهبي

ALTINOLUK

مجلة فصلية– العدد ٣٤ (أيار – آب ٢٠٢١)

واجباتنا تجاه محاولات الشرعنة

قال الله تعالى:

{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} [آل عمران: ١١٠]

أيها الأخوة القرآء:

إن الإنسان الذي ارتقى بقلبه ليصل به إلى مرتبة «القلب السليم» عبر المجاهدات البشرية والتربية الصوفية والألطاف الإلهية، ووصل إلى حالة الطهر والصفاء والربانية، هو إنسانٌ في صورته، لكنه كالملائكة في مقامه وسيرته.

وبعض مَنْ وصل إلى هذه الدرجة هم كالنجوم التي تحتل موقعًا بين ملايين النجوم في هذا الفضاء، يعيشون في خفاء بالنسبة إلى العالم الخارجي، ويحيون في عالمهم الخاص، ولا يُعرفون أبدًا.

وبعضهم الآخر قد يعيش ظاهرًا في دنيا الناس وعالمهم، إذ يؤدي مهامَّ ووظائف اجتماعية موكولة إليه، وهؤلاء مِمَّنْ حظوا بالخلود والحياة بعد الموت؛ إذ يصيرون في حياتهم قادة وقدوة، وبعد وفاتهم نبراسًا وأسوة، وطوال تاريخ البشرية مشاعل هداية؛ لا بل يستمرون في وظائفهم البشرية حتى بعد انتقالهم إلى دار القرار.

ويدركون السبب النهائي في سلسلة الأسباب الموجودة وراء الحوادث، أي إنهم يدركون الإرادة الإلهية، ولهذا يعيشون وهم محيطون بالحكمة ومُظللون بالطمأنينة والسكينة، ويُمسون مصونين عن كثير من حالات الضَعف البشري مثل الاضطراب والقلق.

فبالنسبة إليهم لا شيء اسمه «عبث»، إذ إنهم يبدؤون مرحلة الترقي المعنوي بعبارة «اصفح عن المخلوق من أجل الخالق»، وينظرون إلى العالم بأحاسيس مليئة بالعِبرة والمحبة والدهشة، ومدركين الحكمة من وراء الأحداث.

فنظرتهم إلى الكون هي نظرة قلبٍ مفعم بالجمال، يسهل عليه رؤية الجمال وإدراكه في كل شيء حتى في الصحراء الجرداء، فيرى تموجات رمالها وصفير رياحها لوحة سمعية بصرية بديعة، رغم ما تثيره لدى الناس من ذعر؛ حتى غروب الشمس وإقبال الليل وحِزَم الضوء التي تتسرب أشعتها عبر غيوم السماء التي قد توحي للبعض بخوفٍ من يوم شاتٍ ممطر ذي رعد وبرق، بينما هو يوحي لهم بمشهد لوحة إعجازية سماوية ترسمها القدرة الإلهية.

الميزاب الذهبي

مجلة تصدر كل أربعة أشهر

العدد الرابع الثلاثون

(أيار- آب ٢٠٢١)

رئيس التحرير

بيت الله دميرجي أوغلو

مدير التحرير

حسام يوسف

هيئة التحرير

بيت الله دميرجي اغلوا

حسام يوسف

آدم أزدمير

د. مراد قايا

التصحيح والتدقيق اللغوي

أ. حسن مرشد

التصميم والتنضيد والاخراج الفني

حسام يوسف

دار النشر والطباعة

Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60 / 3C
Başakşehir - İstanbul / TURKEY
Tel:+90 212 671 07 00 Faks:+90 212 671 07 48

الإشتراك

لكي تصلكم المجلة بشكل دوري
يمكنكم الإشتراك سنوياً بمبلغ ٣٠ دولار

كما يمكنكم المساهمة بإرسال المقالات والملاحظات على عناوين المجلة

للمراسلة

www.islamicpublishing.org
almizab2011@hotmail.com
almizab2011@gmail.com

المحتويات

واجباتنا تجاه محاولات الشرعنة

نور الدين يلدز

أسرار الحياة

دورمُش كوج

مِن حِكَم أولياء الله

الأستاذ: عثمان نوري طوباش

الرضا بقدر الله

الدكتور كريم بولادي

كلمة التحرير	١	الْحِسَاب	٣٦
واجباتنا تجاه محاولات الشرعنة	٣	الرِّبَا	٣٧
لا رهبانية في الإسلام	٨	مسؤولية الرجل بشأن مظهر المرأة	٣٨
الفتنة	١٠	الرضا بقدر الله ﷻ	٤١
أسير العبودية	١٤	شخصيتان بجملة	٤٤
الصّد عن سبيل الله ﷻ	١٥	اللفظ والمعنى	٤٦
حُب النبي ﷺ	١٨	عمر الشباب	٤٨
المنهج العقلي للقرآن الكريم	٢٠	الفتح	٥٠
التصوف تزكية النفس وتطهير القلب	٢٣	التوبة	٥٢
أسرار الحياة	٢٤	حباب بن المنذر الأنصاري ﷺ	٥٤
مراحل حياة الإنسان	٢٧	سلطان القلوب عزيز محمود هدائي	٥٦
مِن حِكَم أولياء الله	٢٨		

ملاحظة: المقالات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

الأستاذ نور الدين يلدز

واجباتنا تجاه محاولات الشرعنة

قال الله تعالى:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ [آل عمران: ١١٠]

ما مدى انتشار الشرعنة في حياتنا، وهل ينبغي النظر إليها على أنها مشكلة، وكيف تحدث تقلبات الأفكار، وما أسبابها؟

فهذه نقطة بالغة الأهمية. فأول الشرعنات التي تثير الانتباه وتلفت الأنظار هي تلك التي تحدث في عقيدتنا. وإذا ما تناولنا أعمال الشرعنة في حياتنا اليومية فإني أود التحدث عن أعظم الشرعنات التي تقع في مجال الظلم.

مثلاً؛ هل صادفنا يوماً أباً يطلب المسامحة من ابنه لأنه ضربه؟ حسناً، لنقل أنه أب، والأب يفعل بابنه ما يشاء. فهل صادفنا معلماً يطلب من طالبه مسامحته؟ يقول أحدهم: ليعتذر التلميذ من معلمه، هل يعقل أن يعتذر المعلم من التلميذ؟

إذا قلنا الآن هل الشيخ أو المعلم يعتذر أو يستسمح من تلميذه، فإن المعلم سوف يقول: "عن أي اعتذار أو مسامحة تتكلم يا أخي، فقد تعلم مني، وعليه أن يصبح عبداً أربعين سنة". إن أعظم معلم هو النبي ﷺ. لقد استسمح من عكاشة، إذ قال عكاشة: "كنت قد ضربتني". فقال له النبي ﷺ: "تعال واقتص مني". فهذا خُلق معلم المعلمين عليه الصلاة والسلام.

لنأخذ أكثر مسألة تؤلمنا. المعلم أو الشيخ يعلم الناس القرآن جزاه الله كل خير، لأن خير الأمة مَن يعلِّم القرآن. وليس في هذه الأمة خير ممن يعلِّم القرآن. ولكن الشيطان يشوِّه عُقدة الأمة من خلال أفضل من يمثلها، لتنحدر إلى أسفل الأمم بعد تشويه تلك العقدة. وإذا ما عُقِدَت تلك العقدة الأولى بطريقة خاطئة فمن الطبيعي أن تكون تلك التي تليها خاطئة ومشوهة.

ماذا يفعل الشيطان؟ إنه يلوث يدي معلم القرآن. فكيف سيؤسس تلاميذه بعد ذلك مجتمعاً فاضلاً مثل الصحابة الكرام؟ أي لا ينبغي أن نفهم بأن الشرعنة هي فقط شرعنة التدخين والشتم. الشرعنة هي أن نعقد العقدة العليا لقميصنا بطريقة خاطئة ومشوهة.

أريد أن ننظر قليلاً إلى أنفسنا في عمل الشرعنة هذه. ما العملية النفسية التي تدفعنا إلى إقحام أمر غير موجود في دين الله في حياتنا، أي كيف نتقبله، ونراه تصرفاً سوياً؟ ما تحليلكم أنتم؟

قلنا في البداية بأننا أمة تتعلم بالنظر والتأثر. فالرجل العاقل ينقلب إلى مجنون إذا كررت على مسامعه أربعين مرة أنه مجنون. لقد أمرنا الله تعالى بـ"النهي عن المنكر"، فخالفناه وتركنا النهي عن المنكر، والتزمنا الصمت تجاه الشيخ الذي يستخدم الضرب في تعليم تلاميذه، وقلنا: "شيخٌ وضربَ تلميذه". ولم نعترض على ضرب المعلم لطلابه، وقلنا بأن الأب يضرب، وقلنا بأن الزوج يضرب زوجته. وقلنا بأنها امرأة ومن الطبيعي أن تغتاب وتسير خلف الشائعات والافتراءات.

ولكن غاب عن ذهننا بأن هذه منكرات، ولم نتبع أوامر النبي ﷺ بشأنها والتي هي النهي عن المنكر:

"من رأى منكراً فليغيره بيده، فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه" (النسائي: ٥٠٠٨)

فعندما أصبحنا أمة لا تبدي أيَّ رد فعل تجاه المنكرات، تحولت أكثر الأشياء بعداً عن المشروعية إلى أشياء مشروعة.

إن هذه المسألة ترجع إلى النزعة الفردية التي انتشرت بين المسلمين، فلا أحد يقوم بأمر أحد ولا يتدخل فيه. ؛ فلا يتدخل أحد في شأن غيره ولا يهتم به. مع أن كل فرد من أفراد أمة محمد ﷺ من أجل الكل، والكل من أجل الفرد. فنحن نتهرب من تحمل مسؤوليات بعضنا، ومن هنا تنبع وتبدأ المشكلة؛ أي إننا نقول بأن هذا معلِّم وهو يعرف عمله. ولكن الأمر ليس كذلك، فإذا كان ما يفعله منكراً، فينبغي أن يُواجَه بإجراء على قدر المُنكَر، ولا نقرِّه على ذلك. وكذلك الشأن بالنسبة للشيخ، وللرئيس، فالكل جزء من أمة محمد ﷺ. إن مشكلة هنا تكمن في المجتمع الذي لا يتدخل فيه أحد في شأن أحد. وأبسط مثال لذلك، وهو نموذج للشرعنة أيضاً: الطفل الذي يدخن في الشارع. فلنفكر بالمجتمع الذي كان قبل خمسين سنة، فلو أن رجلاً كبيراً في السن شاهد ذاك الطفل المدخن أثناء ذهابه إلى المسجد، لأمسكه من عنقه وقال له: "والله لأحطمنَّ عظامك، كيف تدخن السجائر وأنت في هذه

ماالذي يمكننا فعله تجاه محاولات الشرعنة؟

أ و لاً ؛ إخضاع إيماننا للمراقبة الدائمة والتحقق من حيويته.

ثانياً؛ لا ريب أننا سنحيا في بيئة ما، فلنحرص على أن تكون بيئة إيمانية.

ثالثاً؛ لن تكون لدينا طاقة كافية فقط، وإنما ستكون لدينا طاقة نوزِّعها على الآخرين، وهذه الطاقة هي التي سنستخدمها إن طرأت لنا حاجة أعلى من أدائنا.

السن الصغيرة" ولو أن والد الطفل رأى هذا المشهد لقال بلا شك: "جزاك الله كلَّ خير يا عم، فأنت بمقام والده"، ولسارعَ إلى تقبيل يده. فهل يستطيع أحد الآن أن يفعل ذلك مع أطفال غيره؟ .

وبعد سن الثامنة عشرة لا تستطيع الأسرة التدخل أيضاً. فما الذي حصل؟

لقد تحولنا من مجتمع كان يستطيع فيه الشيخ الكبير الذهابَ إلى المسجد والتدخل في أي تصرف خاطئ يصدر من طفل يراه في طريقه، إلى مجتمع لا يستطيع فيه حتى الأب أن يفتح فمه بحق ابنه المخطئ. وعندما تبنَّينا هذا النهج تحولت كل الأمور غير المشروعة إلى أمور مشروعة بالنسبة لأطفالنا. وقد يُقَال: "هذه حياة الولد الخاصة".

بالله عليكم ما هذه الحياة الخاصة، ما هذا المفهوم؟

ليس لأطفال هذه الأمة حياتهم الخاصة، ليس هناك مثل هذا المفهوم، إنها حياة الأمة. فعندما تسوء أخلاق الطفل، أو تمرض رئتاه فإن أمتنا هي التي تتضرر. ولكن لما صار الجميع بدلاً من أن يفكر بالأمة، يقول: أسرتي، وشركتي، وجماعتي، وجمعيتي، وقريتي، وبلدتي، عرفنا بأن أحداً لم يعد يتدخل في شأن غيره. وعندها يموت الميت بمفرده، ويحيا الحي بمفرده... لذلك فإن الأمور اللامشروعة تتحول إلى مشروعة بالإقدام عليها مرةً واحدةً، وليس أربعين مرة؛ فالكأس تنكسر مرةً واحدةً، وتكسير الكأس المكسورة لمرات أخرى يكون من أجل المزيد من التحطيم. لذلك ينبغي أن تكون ردة فعلنا تجاه الخطأ المُرتكَب لأول مرة على أنه المرة الأخيرة.

إننا ننظر إلى سيدنا عمر ﷺ على أنه شديد حازم، مع أن الإسلام الصادق ما كان عليه هو. فإمساك الولد الصغير بسيجارة واحدة لأول مرة هو بداية لتدخينه علبة كاملة في اليوم الواحد مستقبلاً. فعندما لا نبدي رد فعل حازم تجاه تدخينه لسيجارة واحدة ولا نعدُّها علبة

كاملة، وعندما يتساهل الأب والأم تجاهه ويكتفيان بصرخة عابرة، ولا نضع خطة لعملية إنقاذه من هذا الخطأ، وتكون من بين كل ثلاث كلمات كلمتا شتم، فسوف تنفلت الأمور ولا ينفع بعدها شيءٍ؛ أي إن تمزق الثوب يبدأ بأصغر ثقب.

ما الذي نستطيع فعله تجاه محاولات الشرعنة؟

ما الذي يمكننا فعله بشأن عمليات الشرعنة الشخصية أي التي نقوم بها بأنفسنا، وكذلك أعمال الشرعنة التي يقوم بها الآخرون؟

أولاً ينبغي أن نتذكر دائماً بأن إيماننا يبلى تماماً مثلما يبلى الثوب. تعلمون ما جاء في الحديث النبوي الشريف:

"إن الإيمان يبلى كما يبلى الثوب فجددوا إيمانكم".

أي أن نراقب إيماننا بشكل دائم هل ما يزال مستمراً كما علَّمنا الشيخ أركانه وعددها عندما كنا في سن السابعة عاماً في القرية أم لا. إذ ينبغي تجديده وتحديثه على الدوام، وأن يكون الإيمان مستمراً ومتواصلاً. وهذا التجديد يكون بالمواظبة على تلاوة القرآن الكريم، وحضور حلقات الدروس، والالتزام بمجالس أحد من أهل العلم ومن كبار العلماء ومتابعة دروسه ومواعظه.

فعلينا مراقبة إيماننا بين الحين والآخر. أجل؛ علينا النظر إلى المرآة، واختبار أنفسنا، وعرض أنفسنا على غيرنا لاختبارها. لنعرف هل إيماننا ما يزال غضاً جديداً أم لا؟ لنعلم وضع نبضات إيماننا؟

هل ما يزال قلبنا يخفق وينبض، أم أنه توقف عن النبض؟ كيف يتم التحقق من ذلك؟ يجب أن ينظر كل إنسان إلى مواطن ضعفه. فالتاجر مثلاً سوف يقيس مدى محافظته على إيمانه وتجديده من خلال النظر إلى

خزنة أمواله. والذي تزوج منذ عشر سنوات سوف يقيس مدى تجديده لإيمانه من خلال عفته وابتعاده عن الشهوة الحرام، ومن خلال علاقته مع زوجته.

علينا أن نفهم انعكاس الإيمان على الحياة على أنه نوع من الجد والحيوية...

أين تبدد وتبلي إيمانك، أين ميدان استخدام إيمانك؟

الإيمان شيءٌ موجود داخل إطار الحياة.

بطبيعة الحال لدينا إيمان لأجل الحياة. ولذلك إذا بلينا هذا الإيمان في موضع ما، فهل يبقى بِطاقته وحيويته الأولى في هذا المكان الذي استعملناه وبلِيناه فيه؟

علينا أن نكتشف نقاط الضعف، ثم نسارع إلى تقويتها. أي أنَّ بلى الإيمان وتقادمه أمر طبيعي، ولكن الأمر الخاطئ وغير الطبيعي هو عدم مسارعتنا إلى تقوية الإيمان وتجديده المستمر عندما يصيبه القدم والبلى.

بطبيعة الحال هناك إيمان يتعرض للحف وعوامل التعرية إن جاز التعبير؛ أي إننا نجاهد الشيطان ونحاربه. وأننا في امتحان وابتلاء دائم في الحياة.

إذاً؛ أول شيءٍ هو تجديد الإيمان. ثانياً؛ إن أكبر مشكلة نعاني منها هي الانطواء، فليس في ديننا الإسلامي الإسلامُ الوحيد أو المنفرد، ولا مكان للانزواء في الإسلام. ولا يمكننا الابتعاد عن محيطنا، وإنما لا بد أن نكون ضمن مجموعة من المؤمنين. ويمكن أن يُطلق على هذه المجموعة اسم الطريقة، أو الوقف، أو الجماعة، أو أي اسم آخر، فليست هناك مشكلة في التسمية. إن كل مجموعة لا سيما الطريقة الصوفية تجتمع مرة في الأسبوع للقيام بنوع من الذكر، ولكن هل هذا العمل المبارك يشكِّل أرضية ليأمر كلٌ منا الآخر بالمعروف وينهى عن المنكر، وليكون كلٌ منَّا مرآةً للآخر؟

لا بد أن نخضع ذلك للميزان والقياس، ولا بد أن يختبر كل منا الآخر.

نحن إخوة، وهذا الأمر من مقتضيات أخوتنا، ولا بد أن نقوم بذلك، وهذه النقطة الثالثة. وإنني أذكر هذا الأمر على أنه بغاية الأهمية؛ أي ينبغي أن نكون حريصين أشد الحرص في مسألة التأكد من حيوية إيماننا المستمر، ومسألة مراقبة الشرعنة، أي هل نحن بعيدون عنها أم أننا قد غرقنا في مستنقعها. فالمؤمن ليس بذاك الإنسان الذي يحفظ إيمانه ليدخل الجنة فحسب، وإنما هو الإنسان الذي ينقل إيمانه هذا إلى من يأتي بعده.

لنفترض أنني قلت: "الحمد لله لم أقترف ذنباً منذ أن فتحت عيني على هذه الدنيا، وإني أصلي منذ أن بلغت، الحمد لله حياتي طاهرة ونقية".

هل انتهى الأمر، لا لم ينته، هل نقلتُ هذا الأمر إلى الجيل الجديد؟ هل ينتج الأمر بذوراً أم لا؟ أجل. علينا دائماً التساؤل كم أكسبت ديني من الأشخاص، بما فيهم أسرتي وأولادي. هل تعلم ماذا يعني هذا؟

أين تبدد وتبلي إيمانك، أين ميدان استخدام إيمانك؟

لدينا إيمان لأجل الحياة. ولذلك إذا بلينا هذا الإيمان في موضع ما، فهل يبقى بِطاقته وحيويته الأولى في هذا المكان الذي استعملناه وبلِيناه فيه؟ علينا أن نكتشف نقاط الضعف، ثم نسارع إلى تقويتها. أي أنَّ بلى الإيمان وتقادمه أمر طبيعي، ولكن الأمر الخاطئ وغير الطبيعي هو عدم مسارعتنا إلى تقوية الإيمان وتجديده المستمر عندما يصيبه القدم والبلى.

إنه يعني إذا كانت تكفيني عشرة فولطات من الطاقة، وكنت مهتماً بنجاة غيري فسوف أشحن نفسي بخمسين فولطاً.

في هذه الحالة تكون محملاً بالطاقة؛ تكون مشحوناً بالطاقة بقدر يمكنك من نقلها إلى الآخرين.

وإلا فإنك تحمل طاقة عادية براحة ودون بذل جهد كبير. ولكن في هذه الحال تؤثِّر فيك صدمات الشرعنة وتسري فيك بسرعة أكبر. وأما صاحب القضية الكبيرة، فيهتم بأمر الأمة...

لنقل مثلاً أنه لم تكن في شارع ما خمارة، وتم- لا قدر الله- افتتاح خمارة فيه. فإذا تطاير النوم من عيني المؤمن بعد افتتاح هذه الخمارة لإحساسه بالخطر على المسلمين، فهذا يعني أنه يقوم بالمهمة التي أمره الله تعالى بها تجاه الشرعنة؛ أي إنه يهتم بأمورهم. فهو على الأقل يكره ويبغض بقلبه، أي ينهى عن المنكر بقلبه.

أي يجب أن تكون الطاقة التي يحملها لتحقيق حياة أرقى، فلا تكون بقدر ما يحقق الاكتفاء الذاتي، وإنما بقدر ما يستطيع التوزيع. فإذا كان الإيمان الذي نمتلكه بقدر ما يكفي للتوزيع فلن تؤثر فينا صدمات الشيطان الخفيفة والمتوسطة.

نسأل المولى عز وجل أن نكون دائماً بهذه الحالة؛ بحالة السعي ونقل الطاقة للغير.

ونعيد ما ذكرناه باختصار:

- أولاً؛ علينا إخضاع إيماننا للمراقبة الدائمة والتحقق من حيويته.
- ثانياً؛ لا شك أننا سوف نحيا داخل بيئة ما، فلنحرص على أن تكون بيئةً إيمانيةً.
- ثالثاً؛ علينا أن لا نمتلك طاقةً تحقق الاكتفاء الذاتي فقط، وإنما نمتلك من الطاقة ما يكفي للتوزيع.

وهذه الطاقة هي التي سوف سنستخدمها إن كنَّا في حاجة فوق قدرتنا وقوتنا.

وهذه الطاقة تصبح كالدرع الواقي.

لذلك يلقي جهاز المناعة بالأمور الصغيرة خارج الجسم.

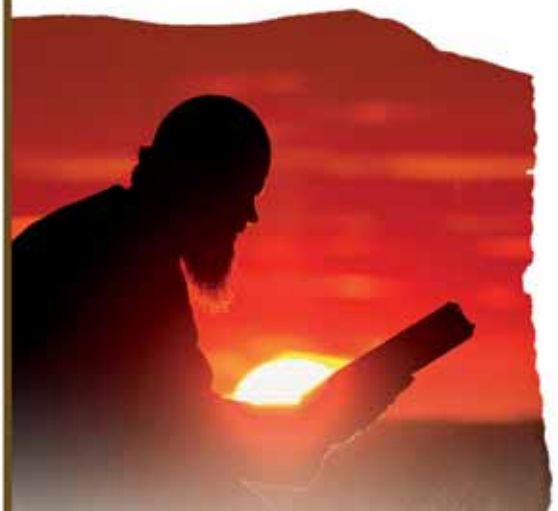

قال رسول الله ﷺ:

«من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات، ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا، ولا درهمًا ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر». (أبو داود، العلم، ١/ ٣٦٤١)

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من أصبح منكم اليوم صائمًا؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟» قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة». (مسلم، فضائل الصحابة، ١٢/ ١٠٢٨)

لا رهبانية في الإسلام (١٢)

ليس لأحد التدخل بين الإنسان وربه

الدكتور: مُراد كَيا

يقول علماء الإسلام:

«تبْلُغ الطرقُ المؤدية إلى الله عددَ نَفَس المخلوقات»

أي أنَّ مِنْ حق كل إنسان إقامة اتّصالَ مع الله تعالى مباشرة، وباستطاعة كل إنسان التوجّه إلى الله بعباداته وأدعيته وطلب المغفرة منه فإنْ أقبل على الله بصميم قلبه وجدَه معه.

يحثّ الله تعالى عباده على الدعاء والتوبة دائماً ويخبرهم بأن رحمته واسعة ولذا يجيب الدعاء ويقبل التوبة منهم واستجابة الدعاء والعفو عن المعاصي بيد الله ﷻ فقط لأنه الوحيد صاحب القدرة فليس بإمكان أي مخلوق استخدام السلطات الخاصة بالله تعالى، فمن الشرك جعل الصفات الخاصة بالله تعالى لأيٍّ من مخلوقاته.

إنَّ مواضيع العقيدة ذات جِدِّية وحساسية لأقصى الحدود وإن فكرة التصرّف فيها كنسبةِ صفةٍ خاصة بالله تعالى إلى عباده أو محاولةِ حصرها وتقييدها فكرةٌ بالغة الخطورة وجالبة لغضب الله تعالى وقد نُقلَ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام إلينا حديثاً بهذا الشأن:

عن أبي هريرة ﷺ قال:

سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول:

"كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين فَكَانَ أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر، فوجده يوماً على ذنب فقال له أقصر، فقال:

خَلِّني وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عليّ رقيبا؟

فقال: والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين،

فقال لهذا المجتهد: أَكُنْتَ بي عالماً أو كنت على ما في يدي قادراً؟

وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي،

وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار"

قال أبو هريرة ﷺ والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته. (أبو داود، الأدب، ٤٣/ ٤٩٠١)

وفي رواية مسلم:

"أن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك " (مسلم، البرّ، ١٣٧ / ٢٦٢١)

وينبغي ألا نفهمَ من هذا الحديث أنَّ الإنسان في ارتكاب المعاصي يكون معذوراً.

إذاً يفترض بنا الانتباه إلى مدى خطورة أبعاد التكلّم بجهالة في حقِّ الله وتكوين معتقدات خاطئة عن الله سبحانه وتعالى.

كان الرسول عليه الصلاة والسلام في حالٍ صعب جداً في غزوة أحد حيث تفرّق أصحابه وجُرِح وجهه وكُسرت رباعيته يوم أحد، وشج في رأسه، فجعل يَسْلُتُ الدم عنه ويقول:

"كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله؟"

فأنزل الله ﷻ:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾

(آل عمران، ١٢٨) (مسلم، الجهاد والسير، ١٠٤/ ١٧٩١)

وعن الأسود بن سريع، أن النبي ﷺ أتي بأسير فقال:

«اللّهم إني أتوب إليك، ولا أتوب إلى محمد»،

فقال النبي عليه الصلاة والسلام:

"**عَرف الحق لأهله**" (أحمد، مسند، ٣، ٤/ ١٥٥٨٧٣٥)

ومن اللافت للنظر قول سيدنا عيسى عليه السلام:

«...ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب، وانظروا فيها كأنكم عبيد...» (الموطّأ، الكلام ٨/ ٢٠٧٥)

وقوله عليه السلام:

«فإن القلب القاسي بعيد من الله يريد من رحمة الله وقوله لا تنظروا في عيوب الناس كأنكم أرباب يريد أن العبد لا ينظر في ذنوب غيره؛ لأنه لا يثيب على حسنها ولا يعاقب على سيئها وإنما ينظر فيها ربه الذي أمره ونهاه فيثيبه على حسنها ويعاقبه على سيئها وأما العبد فإنه ينظر في عيوب نفسه ليصلح منها ما فسد ويتوب منها عما فرط» (الباجي، المُنتقى شرح الموطأ، مصر ١٣٣٢، ٧، ٣١١)

إنَّ كلّاً مِن الدعاء والتوبة والعبادة لا يَلزم أداؤها بوجود رجل دين كما هو الحال في بعض الأديان الأخرى، وعلى كل مسلم أن يحصِّل معرفة كافية بالدين لنفسه، فعندما يجتمع المسلمون لأداء الصلاة يقدّمون للإمامة أكثرهم معرفة وفضلاً وتنبني وظيفة علماء المسلمين على توضيح أسس الدين وتعليمها وإنارة عقول الناس بتبيين الطريق السَّوي من خلال الوعظ والإرشاد والنصح فقط لا غير فليست لهم سلطة الوَساطة بين الله والعبد بقَبول توبة أحدهم أو دعاءه.

عن سعد بن أبي وقاص أنه كان قاعدًا عند عبد الله بن عمر، إذ طلع خباب صاحب المقصورة، فقال يا عبد الله بن عمر: ألا تسمع ما يقول أبو هريرة، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«من خرج مع جنازة من بيتها، وصلى عليها، ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر، كل قيراط مثل أُحُد، ومن صلى عليها، ثم رجع، كان له من الأجر مثل أحد»

فأرسلَ ابن عمر رضي الله عنه خبابًا إلى عائشة رضي الله عنها يسألها عن قول أبي هريرة رضي الله عنه، ثم يرجع إليه فيخبره ما قالت. وأخذ ابن عمر قبضة من حصى المسجد يقلبها في يده، حتى رجع إليه الرسول، فقال: قالت عائشة: صدق أبو هريرة. فضرب ابن عمر بالحصى الذي كان في يده الأرض، ثم قال: لقد فرطنا في قراريط كثيرة. (مسلم، الجنائز، ٥٦/ ٩٤٥)

إن الغاية من ذكر الثواب في الحديث ليس تحديد كميته بل بيان فضل تشييع الجنازة، والله أعلم، لأن الله تعالى يؤجر عباده على أعمالهم وفقًا للنية والإخلاص في قلوبهم.

الأستاذ: علي رضا تَمَل

الفتنة

تعني كلمة الفتنة لغوياً تذويب الذهب أو الفضة في النار لتنقيتهما من الشوائب. وكما أنه يظهر جوهر المعادن عن طريق صهرها في النار، فإن جوهر الإنسان كذلك يظهر من خلال سلوكه وتصرفه مع الأحداث العظيمة والمريرة. تُستخدم كلمة الفتنة عموماً بمعنى الامتحان. فالإنسان يتعرض لمجموعة من الشدائد والمواقف الصعبة المادية والمعنوية التي تحدد سلوكياته أو ردَّة فعله السلبية والإيجابية سواء على الصعيد الفردي أو على الصعيد الجماعي. فهذه المشاكل والمصاعب هي كمبرَد الذهب، وتظهر طباع الإنسان وشخصيته الأصلية بحسب المواقف التي يتخذها.

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦)

والفتنة وفقاً لرأي الإمام البركاوي هي إيقاع الناس في الاضطرابات، والاختلافات، والنزاعات، والبلايا بغير فائدة مشروعة. إن الفتنة قدَرُ البشر سواء على الصعيد الفردي أو الجماعي، وسوف يستمر هذا القدر إلى يوم القيامة.

والأصل هو عدم إتاحة أدنى فرصة أو مجال لحدوث الفتنة، وإذا ما حدثت فيجب اتخاذ موقف المسلم الصادق تجاهها.

لقد حذَّرَ النبي عليه الصلاة والسلام أمته كثيراً من الفتن التي سوف تحدث، وبيَّن لهم ما الذي عليهم أن يفعلوه إذا ما وقعت. وعَدَّ إيقاظ الفتنة النائمة موجباً للعنة، إذ قال:

"الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها".

(العجلوني، كشف الخفاء، الحديث رقم: ١٨١٧)

الفتنة في البدء مثل الجمر تحت الرماد. وإخراج الجمر الكامن داخل الرماد لإحداث الفتنة، ودفع الوسط الاجتماعي إلى النار يشبه الاقتراب من النار بالكير والنفخ فيه. إن الذين يعملون على إطفاء الحريق يستخدمون الماء، وأما مثيرو الفتنة فهم مثل الذين يسكبون الزيت على النار. وينبغي أن يكون موقف

المسلم من الفتنة مثل موقف طيور الحمام التي حملت الماء في مناقيرها واتجهت لإطفاء نار نمرود التي أُعِدَّت لحرق سيدنا إبراهيم عليه السلام.

إن واجب كل مؤمن الحذرُ من أن يكون سبباً في إحداث الفتن التي من شأنها فتح أبواب كل أنواع الشرور وعظيم المصائب، مثل الخوف، والهلع، والاضطرابات، والمجازر الوحشية، والإرهاب، والإلحاد، بل عليه فعل العكس تماماً، أي أن يبذل غاية جهده لإخمادها والقضاء عليها. وأما الذين لا يستطيعون فعل شيءٍ لإخماد الفتن فعليهم على أقل تقدير الالتزام بالصبر، والابتعاد عن الفتنة. وإذا لم يتداعَ الناس إلى وأد الفتنة والقضاء عليها وهي في طور اشتعالها فإنها سوف تلتهم المجتمع بأسره، فتحرق الأخضر واليابس، والظالم والمظلوم.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال: ٢٥)

إن الفتن من شأنها القضاء على الأمن في المجتمع سواء الأمن على الأموال أم الأنفس والأرواح. إذ تعم الفوضى والاضطراب وانعدام الأمان والاستقرار. ويتعذر في الوسط الذي تسوده الشبهات والخوف وانعدام الأمن والفوضى تحقيقُ أي تقدم وتطور. فالفتنة من هذا الجانب أشد وأسوأ بكثير من القتل. ويبين مولانا عز وجل خطورة الفتنة وبشاعتها بقوله:

﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (البقرة: ١٩١)

وفي الواقع هناك فتن شديدة لا يحتملها الإنسان حتى إنه يتمنى الموت كي يرتاح من أهوالها. والفتنة تشرع الأبواب أمام القتل والمجازر الجماعية.

وقد أخبرنا النبي عليه الصلاة والسلام بما ينبغي اتخاذه عند حدوث الفتن إذ قال:

"إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً، ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والماشي فيها خير من الساعي". (أبو داوود، الفتن، ٢؛ الترمذي، الفتن، ٣٣)

إن الأصل عند السعي لإخماد نار الفتنة هو التحرك بصدق ونية سليمة، وعدم الانجرار خلف الإشاعات، والتفتيش عن الهدف الخفي للأحداث، والالتزام بالحيادية والموضوعية بالابتعاد عن مشاعر المصلحة، والمحبة، والكراهية. فلا يليق بالإنسان المسلم نشر الأقاويل الكاذبة في كل مكان، والإقدام على الأعمال التي من شأنها إثارة الجماهير. حيث يقول رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام:

"كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع". (مسلم، المقدمة)

ويقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦)

إن وسائل الإعلام والاتصالات التي اتسعت وازدادت إمكاناتها اليوم يتم استغلالها واستخدامها كسلاح مرعب في إثارة الفتن. ويتم في هذا الشأن استهداف أمن المجتمع واستقراره من خلال خلق جو تسوده الاضطرابات والفوضى، وانعدام الأمن والأمان. فلا بد من القضاء على مخاطر العالم الافتراضي،

والحد من تأثيراته وألاعيبه، وذلك بتثقيف شعوبنا وتعليمهم على استخدامه بالاتجاه الإيجابي، وتقوية الجانب النفسي لديهم لمواجهة هذا النوع من المكائد والألاعيب.

وفي هذا المجال تقع مسؤوليات وواجبات مهمة للغاية على عاتق رجال الدولة، والإعلام، والقائمين على العملية التعليمية، والقيادات الدينية.

ينتشر في عصرنا هذا وعلى نطاق واسع تثبيت الكاميرات المخفية، وعمليات التنصت على المكالمات بصورة غير قانونية، ومحاولات التشهير والفضائح من خلال برامج (المونتاج) والتي تستهدف فضح الحياة الخاصة للأفراد، وأصبحت مسألة حماية الحقوق الشخصية أمام المكائد والمؤامرات التي تحاك ضدها بالغة الصعوبة. فينبغي لمواجهة هذه السلبيات المقيتة إعلان تعبئة عامة وواسعة للتربية الأخلاقية، إلى جانب اتخاذ التدابير الإدارية والقانونية والتقنية. إذ إن مصدر الكثير من المشاكل هو الضعف الروحي والأخلاقي. وينبغي التوضيح لأجيالنا أهميةَ حقوق العباد، ومدى خطورة الإشاعات، والافتراءات، والغيبة والنميمة، والسخرية والاستهزاء بالآخرين، والعاقبة الوخيمة التي تتسبب بها هذه الأعمال.

ولا بد في موضوع الحيلولة دون حدوث الفتن أن يلتزم رجال الدولة والقيادات الدينية بشكل خاص بالحذر الشديد في تصرفاتهم وتحركاتهم بتجاوز نقاط الضعف النفسي مثل الشهوة، والشهرة، والثروة، والسعي في سبيل تحقيق مصلحة المجتمع بحال من نكران الذات، وذلك لأنهم يعدون مثلاً للمجتمع من كل جانب.

فلنتأمل في موقف سعد بن عبادة نموذجاً حياً لعدم التحول إلى أداة لإثارة الفتنة:

من المعروف حادثة اختيار الخليفة عقب وفاة النبي عليه الصلاة والسلام وانتقاله إلى جوار ربه. كان الأنصار يريدون مبايعة سعد بن عبادة خليفةً لهم، وكانوا يرون أنفسهم أصحاب حق في ذلك. ذلك أنه في الوقت الذي كان فيه كل العرب في شبه الجزيرة العربية أعداءً للنبي عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين في مكة، فتحَ الأنصار لهم أحضانهم، وتقاسموا معهم كل ما يملكون. ولكن لما رأوا بأن المهاجرين لا يؤيدونهم في هذه المسألة قالوا:

"منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش".

فقام أبو بكر رضي الله عنه الذي يُعد من المهاجرين، فتكلم وأشار إلى أمر دقيق. إذ أشار إلى أن لأهل قريش مرجعية وسلطة قوية لدى العرب بسبب مكة والكعبة. وكان من الأفضل أن يكون الخليفة من قريش لضمان السلم والأمن.

وفي النهاية أدرك الأنصار هذه الحالة السياسية الدقيقة، وتخلوا عن مطلبهم في الخلافة، ولم يعودوا بعد ذلك إلى مناقشة هذه المسألة مرة أخرى. فلو أن الأنصار لم يبدوا هذا التفاهم والليونة والتضحية، لحصلَ خلاف وتنازع على السلطة، ولَسُلَّت السيوف، ولربما نشبت حرب طاحنة بين الطرفين. وكان من

إن واجب كل مؤمن الحذرُ من أن يكون سبباً في إحداث الفتن التي من شأنها فتح أبواب كل أنواع الشرور وعظيم المصائب، مثل: الخوف، والهلع، والاضطرابات، والمجازر الوحشية، والإرهاب، والإلحاد، بل عليه فعل العكس تماماً، أي أن يبذل غاية جهده لإخمادها والقضاء عليها.

الممكن أن تؤدي مثل هذه الحرب لو نشبت إلى إطفاء شعلة الإسلام.

إلا أن هذا الموقف العقلاني الذي أبداه الأنصار في هذه المرحلة الحرجة حال دون اشتعال فتيل الفتنة، وضمن انتشار نور الإسلام في العالم. ومع أن مرشح الأنصار للخلافة امتنع عن مبايعة أبي بكر، لكنه لم يصر على المطالبة بالخلافة، حيث هاجر من المدينة إلى الشام، وفضل الصمت تجاه مسألة الخلافة حتى وفاته، وذلك حذراً وخشية من أن يكون سبباً في إثارة الفتنة.

إن إثارة الإنسان لنزاع حول شيءٍ لا يستحقه ليست إلا حماقة وسخف. وأما تخلي الإنسان عن حقه الطبيعي للحفاظ على المصلحة العامة والحيلولة دون حدوث الفتنة فيعد فضيلة. ولذلك ينبغي للمرء التحلي بروح الأنصار.

ويصف الله تبارك وتعالى هذه الروح الأصيلة للأنصار بقوله:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩)

لقد كانت هناك فتن كبيرة بصورة مستمرة وذلك سواء في العالم أم في العالم الإسلامي. وما مقتل عمر، وعثمان، وعلي ﷺ، ومعركة الجمل، وصفين، وفتنة الخوارج، وحادثة كربلاء وغيرها من الحوادث الأليمة إلا من قبيل هذه الفتن الكبيرة.

وسوف تستمر هذه الفتن إلى يوم القيامة شئنا أم أبينا. فقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بهذه الحقيقة، إذ قال:

"لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيمَ قَتَل ولا المقتول فيمَ قُتِل" (مسلم، الفتن، ٥٦)

فالوسط المرعب الذي لا يُعرف فيه سبب الأحداث هو الوسط الذي تحدث فيه الفتنة.

ففي مثل هذا الأوضاع والأوساط لا يُعرَف مَن هو المعتدي، ومَن هو صاحب الحق، وتنتشر فيها الجرائم المجهولة فاعلها، والأكاذيب، والشائعات، والاضطرابات، والعمليات التخريبية والاستفزازية، وتنقلب الأمور رأساً على عقب. فهذا المشهد هو مشهد انهيار المجتمع.

لا شك أن جريمة مثيري الفتنة كبيرة وعظيمة. ولكن جريمة الذين يتحولون إلى أدوات للفتنة، ويقذفون بالحطب على نيرانها ولو بغير علم ليست بالأمر الهين أيضاً.

فواجب المؤمن هو سكب الماء على نار الفتنة، وليس الزيت. وإلا فإن الحريق سوف يحيط بالجميع ويلتهمهم، ويصبح كل شيءٍ حتى الآمال أثراً بعد عين.

فينبغي أن يكون الجميع في يقظة تامة تجاه الفتن ومثيريها لحماية النظام الاجتماعي وقيمه المادية والمعنوية.

أسير العبودية

فاطمة ديلَك تشفيك أوغلو

إن الحرية تتمتع بأهمية كبيرة بالنسبة لنا، أليس كذلك؟ حسنٌ، فهل نحن أحرار بالمعنى الحقيقي؟ وكيف لنا الوصول إلى الحرية التي نريدها؟ وهل تعلمون أيها الإخوة في أي الأمور أحرار نحن!، إننا أحرار في اختيار عبودية من بين عبوديتين مختلفتين.

أما أولاهما فهي عبارة عن ضلال تلهينا وتعيقنا عن مهمتنا ووظيفتنا الأصلية. إن النفس الأمارة (التي لم تخضع للتربية والتزكية) بمقتضى طبيعتها تنشب مخالبها في أجسادنا وتريد الاستمرار بالهيمنة والسيطرة علينا. وترينا رغباتها ومبتغياتها وكأنها رغباتنا. والحال أن هذه النفس هي عدوة لنا وقد جاء ذكرها والتحذير منها في الحديث القدسي:

(أعدى عدّوك نفسك التي بين جنبيك). فكيف للنفس التي هي مصدر العجب والكبر، وأداة الامتحان في هذه الدنيا إلى جانب الشيطان الذي تحدى الله تعالى وأقسم على تضليل الإنسان وإغوائه وإخراجه عن الصراط المستقيم وقد جعلته ألعوبة بين يديها، كيف لها أن تريد لنا الخير؟ فمعرفتها ليست إلا عبارة عن تضليل ووضع غشاوة على العين. إنها مثل الطفل المدلل تطلب ثم تطلب وتصر على الرغبات والمطالب حتى يصبح الإنسان أسيراً للنزوات والأهواء. فأي حرية بعد ذلك للأسير إن كان في الأسر؟

وأما العبودية الثانية فهي العبودية لله تعالى، ويا له من أسر جميل حيث يخر الكثير من الملوك والسلاطين ركعاً أمامه. فمن ذاق طعم مثل هذا الأسر فإنه لا يفكر بغيره أبداً، إنه يكون قد بلغ الحرية الأصلية. إنه العبد الذي تتجمع وتختزل كل حاجاته ومطالبه في العبودية ذاتها. إنه لشرف عظيم، ومقام رفيع، إذ يكون الإنسان عبداً لله تعالى المنزه عن كل نقص، والذي ليس كمثله شيء. حيث يقول النبي ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحته ولا فخر. وأنا إمام الناس وخطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ولا فخر. لا فخر لي إلا أني عبد الله". (أبو داوود، ٤٦٧٣؛ مسلم، ٢٢٧٨)

فمن يدير ظهره لهذه النعمة ويتنكر لها فهو ظالم لنفسه قبل كل شيءٍ. فالروح لا تجد صفاءها وسكينتها إلا بجفاء العبودية. إن ذاك الجفاء يحتوي على خوارق كثيرة، والخائف من خوضه لا يمكن أن يدرك هذه المزايا والمحاسن أبداً.

أمامنا فرصة اختيار حتى نهاية هذا الامتحان. فالباب الذي يؤدي إلى الطريق القويم والصراط المستقيم مشرع على مصراعيه، ويُنادى علينا "هلمَّ" إليه. وما علينا سوى إلقاء خطوة صحيحة نحوه. فإن نحن تقدَّمنا خطوة فإن هناك محباً مستعداً للسعي والهرولة إلينا، ويبحث عن أدنى ممسك وذريعة للعفو عنا. بينما العدوان اللدودان النفس والشيطان لا يعداننا إلا بالندم والحسرة، ولا هدف لهما سوى جعل ابن آدم أداة لتحديهما الأحمق.

والآن أسألكم ونفسي: من يستحق الحب والطاعة أكثر؟ وهل نكون أحراراً باختيار العبودية للهوى والنفس، أم باختيار العبودية للحق سبحانه وتعالى؟

إسماعيل لطفي جاكان

الصّد عن سبيل الله عزّ وجلّ

إن شرف الإنسان نابع من كون الإنسان عبداً لله تعالى، فالشرف الإنساني يأتي بالأساس بمعنى شرف العبودية، وذلك على ضوء الآية القرآنية:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)

والاحترام الحقيقي لشرف الإنسان هو تمكينه من أداء واجب العبودية لله تعالى وعدم إعاقته في هذه المسألة بأي شكل من الأشكال. وسنحاول هنا أن نُبيِّن -من خلال إيراد الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع على شكل عناوين رئيسة- بأن أي تعرض بأي طريقة كانت لشرف الإنسان يعني "الصد عن سبيل الله".

من المفيد قبل كل شيءٍ وصف ذنب "الصد عن سبيل الله" الذي يمتد لقرون طويلة. إذ إننا نجد الآية الكريمة المتعلقة بالموضوع بين الإجابات التي أُمِرَ النبي ﷺ بتقديمها بشأن تطبيق "الأشهر الحرم" التي كانت معروفة في المجتمع الجاهلي قبل الإسلام.

ففي السنة الأولى للفترة المدنية عيَّنَ النبي ﷺ عبدَ الله بن جحش رضي الله عنه قائداً على رأس سرية وأرسله إلى نواحي مكة. فصادفت هذه السرية قافلة تجارية صغيرة لأهل مكة يقودها ثلاثة رجال. فرمى واقد بن عبد الله التيمي سهماً فأصابَ عَمْراً بن الحضرمي القرشي الذي كان مسؤولاً عن القافلة وقتله، وحدث ذلك في اليوم الأول من شهر رجب الذي يُعد أحد الأشهر الحرم الأربعة.

ثم ألقوا القبض على الرجلين الآخرين وعادوا بهما مع القافلة إلى المدينة المنورة. لقد كانت مهمة هذه السرية في الأساس هي الاستقصاء عن أخبار أهل مكة ونقلها إلى النبي ﷺ في المدينة، أي القيام بمهمة استخباراتية. ولكن وقعت مثل هذه الحادثة.

فبدأ أهل مكة بحملة إعلامية كبيرة ضد المسلمين عنوانها: "قتل المسلمون رجلاً في الشهر الحرام". ولما رأى بعض المسلمين أن النبي ﷺ لم يأخذ شيئاً من الغنيمة التي جاءت بها السرية، أخذوا يلومون رجال السرية بقولهم: "إنكم جئتم شيئاً لم تؤمروا به، لقد قتلتم رجلاً في الشهر الحرام".

فنزل قول الله عزّ وجلّ:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾

(البقرة: ٢١٧)

فنفهم من هذه الآية أن ذنب صدِّ الناس عامة والمؤمنين خاصة عن سبيل الله ﷻ وغيره من كبائر الذنوب مثل – الكفر بالله تعالى، ومنع الناس من زيارة المسجد الحرام، وطرد الساكنين هناك من بيوتهم– أشدُّ من قتل رجل في الشهر الحرام. ذلك أن: "الفتنة [الظلم، وإثارة الاضطرابات، والفساد، والاضطهاد، والتعذيب] أكبر من القتل". (انظر أيضاً البقرة: ١٩١)

وعبارة: "الفتنة أكبر من القتل" الواردة في الآية هي بيان بالإجمال بعد التفصيل، إذ تبيِّن بأن كل فعل من الأفعال المشينة التي تم سردها في الآية أكبر وأشد من قتل النفس، وأن كل واحد منها سبب لحدوث الفتنة.

وهناك أمر بالقضاء على الفتنة، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾

(البقرة: ١٩٣)

ففتنة صد الناس عامة والمؤمنين خاصة عن سبيل الله ذنب أشد وأعظم من قتل النفس. فهذا هو التوصيف الأساسي للصد عن سبيل الله ﷻ.

إن ربنا ﷻ حينما يبيِّن للنبي ﷺ الجوابَ الذي يرد به على الحملة الإعلامية التشويهية التي تُشَنُّ عليه وعلى المسلمين، يبين أيضاً للمشركين الذين ثاروا على المسلمين بقولهم: "قتلوا رجلاً في الشهر الحرام" بأن ما فعلوه "أشد وأكبر"، ويذكِّرهم بالكثير من الذنوب التي اقترفوها. وفي الوقت نفسه يعلمنا أصول المناظرة والجدال مع العدو، وكأنه يقول لنا: "فكما أن الأعداء يتداعون فيما بينهم ويتصيدون خطأً يقع فيه المسلمين، ثم يقودون حملة إعلامية كبيرة بقصد الإساءة إلى المسلمين وتشويه صورتهم بالوسائل الكتابية والصوتية والمرئية، دون التفات إلى الأخطاء الكثيرة التي يقترفونها هم، فقوموا أنتم أيضاً أيها المسلمون بتذكيرهم والناس من حولكم بأخطائهم وبيانها ونشرها على الملأ، وذلك بالوسائل ذاتها".

وينبغي في أيامنا هذه التي ينتشر فيها الصراع الثقافي اختيار هذا الأسلوب للدفاع والتبليغ معاً كي نقف في وجه البؤر المعادية الداخلية أو الخارجية، وذلك من خلال فضح الأفعال والأخطاء المشينة التي ترتكبها هذه البؤر. ولأجل ذلك فمن الضروري العمل على امتلاك وسائل الأخبار والاتصال والإعلام ذاتها التي تُقاد من خلالها حملات التشويه المعادية.

الصدُّ عن سبيل الله ﷻ معركة متجدِّدة، وعداوة باقية، وأسلوبٌ متواصًى به، عُودِي به الأنبياء أزمانًا، واشتكى الصالحون منه دهورًا؛ ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

وتأمَّل في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٦].

فعبَّر ﷻ بفِعْل المضارع "ينفقون"؛ يعني أنَّه فِعْلٌ مُستمر فيالحاضر والمستقبل. والصدُّ عن سبيل الله ﷻ قد يكون عامًّا، وذلك بالصدِّ عن الدين كُلِيَّةً، وقد يكون الصدُّ جزئيًّا، وذلك بالصدِّ عن بعض تشريعات الإسلام، ومحاربتها ومَنْعها، والتضييق على أهلها، كالحجاب والنقاب، والأذان وحَلقات القرآن.

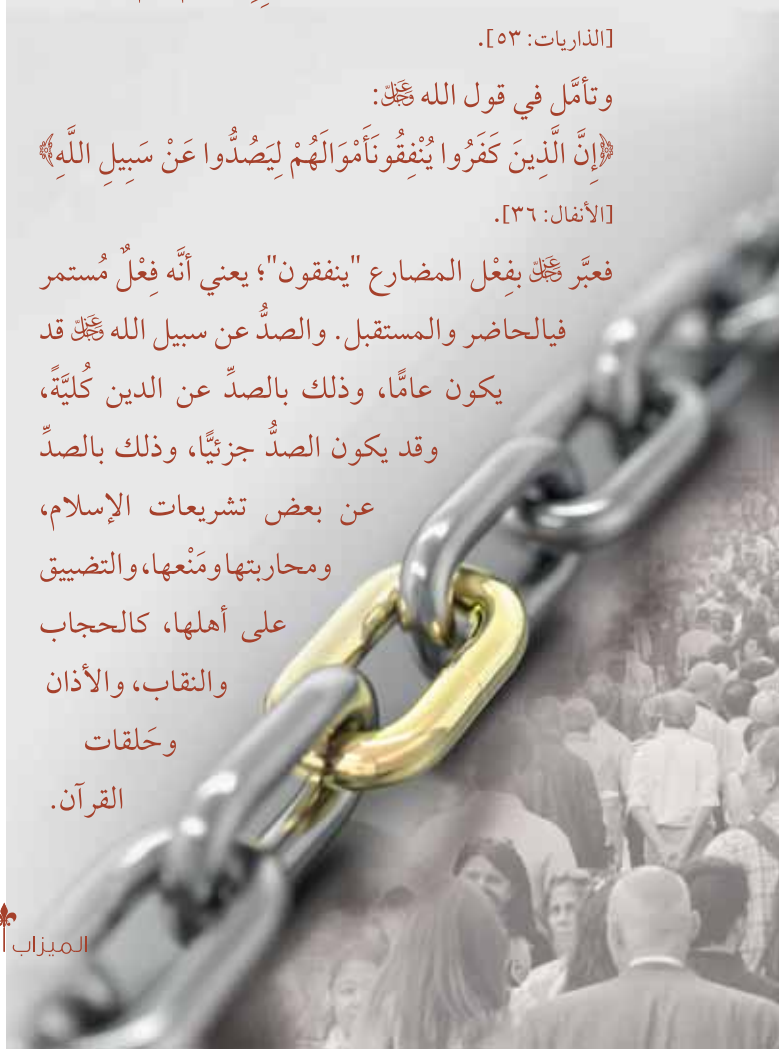

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٦)

تلفت هذه الآية القرآنية المباركة الانتباه إلى أن الكفار يلجؤون أثناء محاولتهم الصد عن سبيل الله تعالى إلى ميدان "الاستثمار الاقتصادي" وسيستمرون بالعمل في هذا الميدان، فكلمة "فسينفقونها" تشير إلى أنه سيكون هناك كفار يعيدون استثمار أموالهم من جديد في كل وقت وعصر على الرغم من عجزهم عن الحصول على النتيجة التي يريدونها من إنفاق أموالهم في هذا المجال، أي "الصد عن سبيل الله". والحق أنه هذه هي النقطة التي تلتقي فيها حقائق الأمس مع حقائق اليوم، وإن كان هناك تغير في التسمية والشكل. فكما أن الأموال التي صرفها زعماء مشركي مكة والاستثمارات التي أقدموا عليها لتأمين المؤونة، والمبيت، والمراكب، والعتاد لجيش المشركين في معركة بدر وأحد والخندق انتهت بالأمس بالحسرة والندامة، فإن كل من يتبع هذا السبيل اليوم أو في المستقبل لن ينال أيضاً سوى الندامة والإخفاق. فنفهم من ذلك كله أنه إذا أردنا ألا نشارك الكافرين في مخططاتهم ومشاريعهم الهدَّامة، علينا أن نكون يقظين أثناء تقديم الدعم، والقيام بالاستثمارات، وتمويل المشروعات، فنتساءل: لمَن نقدم الدعم؟ ولماذا؟ وفي أي الميادين تُستَثمر الأموال؟ وما الهدف من التمويل؟

إن التحذير الذي وجَّهه سيدنا شعيب عليه السلام لأهل مدين، والذي ورد في الآية القرآنية التي سوف نذكرها، كان دعوةً تتخطى العصور، موجهةً إلى الذين رصدوا أنفسهم لصد الناس عن سبيل الله عز وجل. فهذه الدعوة تنطبق تماماً على العهد الإسلامي أيضاً لأنها ذُكِرَت في القرآن الكريم، فشرع من قبلنا شرع لنا إذا قصَّهُ الله ورسوله.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ (الأعراف: ٨٦)

ودعوة "عدم القعود بكل زاوية وصراط (طريق)" لا تعني الناحية المادية فقط، أي القعود الظاهر على رأس كل زاوية وممر، وإنما تعني أيضاً عدم القعود المعنوي، أي سلطة الحكم والإشراف التي تتيح التأثير في المجتمع.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (الأنفال: ٤٧)

لا ريب أن هناك عقاباً لذنب صد الناس عن سبيل الله. فالعقاب الدنيوي يشمل: الندامة، والحسرة، وعدم بلوغ الأهداف المقصودة، وذهاب جهودهم سدىً وإخفاقهم، والبقاء في ضلال كبير. وأما الآيتان الآتيتان فإنهما تشيران إلى العقاب الخاص بالآخرة وهو: "عدم المغفرة" و "العذاب فوق العذاب".

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (محمد: ٣٤)

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (النحل: ٨٨)

فينبغي للذين يصدون الناس عامة والمؤمنين خاصة عن سبيل الله عز وجل ألا ينتظروا العقاب الدنيوي فقط، وإنما العاقبة الأخروية الوخيمة، وأن يراجعوا أعمالهم السيئة ويتخلوا عن مخططاتهم، وإلا فإن ندامتهم الأخروية لن تفيدهم أبداً.

حُب النبي صلى الله عليه وسلم

لقد حوَّل النبي عليه الصلاة والسلام الذي أطل بوجهه المشرق على الدنيا المجتمع القاسي الذي عاش فيه إلى مجتمع فاضل، إذ أصبح الأشرار أخياراً، والأخيار زادوا خيراً وصلاحاً، وانتقل الناس من العداوة إلى الصلح والسلام، ومن النزاع والكراهية إلى المحبة والوئام.

لقد صار ذلك العصر بجهود النبي عليه الصلاة والسلام وجهود أصحابه الغر الميامين عصرَ السعادة بحق..

فهل أشرق ذلك النور بالنسبة لنا؟ وما الذي نمتلكه من ذاك النور الساطع؟ألم يكن نبي المحبة والرأفة؟ إذاً؛ فما المقدار الذي نمتلكه في قلوبنا من تلك المحبة والرأفة؟ وهل النبي المتبسم يحب الوجوه العابسة المتجهمة؟ أليس صحيحاً أنه لا يحب الذي يحقِّر الآخرين؟ فلنبتعد عن استحقار الناس والاستخفاف بهم حتى يحبنا.

ينبغي أن تنعكس سيرة النبي عليه الصلاة والسلام على أخلاقنا وعلى سائر أحوالنا، ينبغي أن تشرق على حياتنا كالشمس..

ينبغي أن يكون في كل شخص منا شيءُ من سلوكه سواء على المستوى الاجتماعي أو على المستوى الفردي، فإذا نظر إلينا أحد يعثر فينا على شيءٍ منه..

إننا جميعاً نعلم بأنه كان طاهراً نقياً، لذلك علينا أن نكون طاهرين. وأنه كان رمزاً للأخلاق الفاضلة، فعلينا أن نتخلق بأخلاقه. وكان الناس من حوله يسمونه "الأمين" لصدقه وأمانته التي ليس لها مثيل، فعلينا أيضاً أن نكون أمناء وصادقين.

لقد كان في غاية النشاط والانتظام والانضباط، لذلك علينا أن نكون أيضاً بغاية النشاط والانتظام والانضباط.

تُرى هل يمكننا القول بأنه روحنا وفؤادنا وكل شيءٍ نمتلكه؟

ألا يجب أن تنعكس سيرته على كل شيءٍ في حياتنا كي نستطيع قول ذلك؟

لقد كانت أحواله وتصرفاته الجميلة والفاضلة عالمية؛ فأخلاقه الحميدة، وعمله للخير، واجتهاده ونشاطه، وصدقه، واستقامته ليست مقتصرة على عصر

معين، ولا منحصرة بزمن محدد، لأنها فضائل مستمرة وصالحة لكل زمان ومكان.

فإن كان الأمر كذلك فدعونا نكون لائقين به، فلنعمل بجد ونشاط، ولنستكثر من القراءة، ومن القيام بأعمال الخير، ولنكن أمناء وصادقين وملتزمين بالاستقامة.

دعونا نظهر فائق الاحترام والإحسان إلى الكبار في السن وعلى رأسهم الوالدين، ونتبع نصائحهم وتوجيهاتهم، ولنعطف على صغارنا وعلى رأسهم إخوتنا، ونكون سنداً وعوناً لهم.

علينا أن نكثر من قراءة الكتب وعلى رأسها كتاب الله، وأحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام.

علينا أن نؤدي عبادتنا وعلى رأسها الصلوات في أوقاتها، بأحسن صورة.

علينا أن نحب بكل مشاعرنا وأحاسيسنا نبينا عليه الصلاة والسلام الرؤوف بنا، لأن له مقاماً ومكانة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى، فهو رسوله وأحب عباده إليه..

لقد رفع الله شأن نبيه، وأمرنا أن نرفع شأنه. فينبغي أن يكون لنبينا عليه الصلاة والسلام مكانة مميزة لدينا...

هل ندرك ما معنى أن يحبنا الله ورسوله؟

علينا أن نسعى للقيام بالأعمال التي ترضي الله ورسوله، وأن نبتعد عن الأعمال التي لا يحبها الله ورسوله، لكي نكون جديرين بأعلى مستوى من محبتهما.

لقد كان النبي عليه الصلاة والسلام قدوة بأعماله، وسلوكه، وسائر حركاته وسكناته. وإن كنا نحبه بحق فإننا سوف نحاول الاقتداء به في سائر أحوالنا وأعمالنا.

> إن لنا نبياً يحبنا محبة تفوق الوصف، ويريد اللقاء بنا حتى في الجنة. فإن كان الأمر كذلك فينبغي لنا أن نبادله هذه المحبة بمحبة مثلها، فنُقدِم بكل حب وسرور على القيام بكل ما أمرنا بفعله، ونتجنب ما نهانا عن فعله، وذلك لأننا نحبه حباً جماً.

وبإذن الله سبحانه وتعالى سوف يكون كل واحد منا المسلم القدوة المليء بالمحبة، والذي يتحلى بالأخلاق السامية في كل زمان ومكان، ويلتزم بالاستقامة والأمانة والصدق في القول والمعاملة، ويتمتع بالرقة واللطف واللين، والذي يبدي فائق الاحترام والتقدير للشيوخ، ويظهر أسمى مشاعر الحب والعطف على الصغار ويبادر إلى مساعدتهم.

ينبغي أن نبتعد عن الخطايا والسيئات سواء الفكرية، أو القولية، أو الفعلية، وعن سائر الشرور والخبائث؛ وعلينا أن نبادر إلى شتى الأعمال التي تتسم بالخير والصلاح، ونشرع الأبواب لكل ما فيه فائدة ونفع للناس.

إن الذي يحب النبي عليه الصلاة والسلام بحق لا يتوانى لحظة عن القيام بكل ما أحبه وأوصى به، والذي يحبه بحق لا يعمل فقط من أجل نفسه، وإنما يحاول أن يعمل على قدر استطاعته من أجل الناس جميعاً، أو على الأقل يمتلك الإحساس بالمسؤولية تجاههم.

يبشِّرنا الله تعالى بالرأفة والمحبة العظيمة التي يحملها النبي ﷺ تجاهنا. ويبشِّرنا النبي عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم بنفسه بمحبته الكبيرة لنا، وبرغبته الشديدة باللقاء بنا في الجنة يوم القيامة. فهل هناك بشارة أعظم من هذه بالنسبة للإنسان المسلم؟

ونختم بقول النبي عليه الصلاة والسلام :

"لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه مِن وَلَدِهِ ووالِدِه، والناسِ أجمعين". (البخاري ومسلم)

فالمؤمن الحقيقي هو الذي يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أَحَبَّ إليه مِن الناس أجمعين، حتى والده وولده.

المنهج العقلي للقرآن الكريم

بقلم: إبراهيم أرباجي

إن عبارة "لعلكم تعقلون" التي تتكرر في القرآن الكريم تذكيرٌ للإنسان بموقفه أمام الله تعالى وأمام المخلوقات التي أوجدها عندما يرى الحوادث في الكون. فالله سبحانه وتعالى من خلال هذا التذكير يوصي بالتفكر في هذه المخلوقات، وهذا التفكر يكون بإعمال العقل مع أخذ القلب بعين الاعتبار.

والقرآن عندما يدعو الإنسان إلى إعمال العقل، لا يوصيه بتفكير عشوائي عبثي، وإنما بتفكير استقرائي. وهذا التفكير يبدأ بأصغر ذرة في الكون إلى أعظم نظام ضوئي في الفضاء. لذلك فإنه يؤكد بأن التفكير يكون بشأن كل كائن في الدنيا، من البذرة التي على وجه الأرض، إلى الجنين الذي في أحشاء أمه، وإلى الحشرة التي تصير موضوعاً للوحي.

وكذلك فإنه يدعو إلى تفكير الإنسان بذاته إلى جانب حسن التقدير الذي أضافه الله على خلق الإنسان:

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ (المرسلات: ٢٣)

ويضع القرآن لنا آلية التفكير الصحيحة بقوله:

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرعد: ٤)

وهذه الآلية هي بلوغ الحقيقة من خلال التفكر بالمخلوقات.

أي إن القرآن عندما يدعو الإنسان إلى التعقل أو إعمال العقل، فإنه يريد منه أيضاً التعقل من خلال الآلية التي وضعها. وبذلك يُخلِّص الإنسانَ أيضاً من متاهة المصطلحات وطرائق التفكير الخاطئة التي نجدها منتشرة في هذا العصر وعصور سابقة. وعندما يقوم القرآن بهذا الأمر، فإنه يقدم أمثلةً من الحوادث الواضحة والممكنة الإثبات بيسر، ويتواصل مع إدراك الإنسان وفهمه، لأنه يهدف إلى التأثير في مخاطَبيه بالأمثلة التي لا تنفك عن الحياة اليومية، ومثال ذلك:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم: ٢٤-٢٥)

ينبغي أن نعلم بأن معرفة الحق لا تكون إلا من خلال النظر والبحث بالطريقة التي أوصى بها صاحب الحقيقة ذاته. والقرآن عندما يبيِّن محتواه فإنه يؤكد بأن أصح الأمور هو السبيل الذي أشار إليه بنفسه:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩)

وهناك حقيقة ينبغي ألا تغيب عن بالنا أبداً وهي أن الفلسفة المجردة يمكن أن تُكذِّب الاستنتاجات التي توصلت إليها في الأمس بما تثبت صحته اليوم. والأمر كذلك بالنسبة للعلوم الطبيعية، إذ إنها قد تدحض ما أثبتت صحته في الأمس من خلال المعطيات والدلائل التي تتوصل إليها اليوم. ولكن هذا الأمر لا ينطبق على الدين- الأديان عامة والإسلام خاصة - بشكل من الأشكال، فالدين استقرار وثبات. والذي يتَّبع ديناً يحافظ على حيوية إيمانه من خلال بقاء أوامر ذلك الدين ونواهيه حية، وهذا يمكن تحقيقه بتناول الضلالات والانحرافات والأفكار التي تظهر بمرور الزمن من خلال فلسفة العلوم الدينية. ووجهة النظر هذه بصورة خاصة تكون على شكل جعل أوامر الدين ملائمة لفهم المجتمع الذي اختلفت تطلعاته ذهنياً ومادياً، وليس بإجراء تجديد في الدين ذاته أو ما يعرف "بالإصلاح الديني".

والحق أن القرآن جعل التسليم القلبي مؤشراً على قوة الإيمان. لهذا فإنه يذكر في كثير من المواضع النظر بالقلب، والتفكير بالقلب، ويربط تفكير الإنسان، وتذكره، وتدبره بالتفكير القلبي، وذلك بقوله:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦)

حتى إنه ظهر خلال التاريخ الإسلامي جماعة من الناس وصفوا الشرق بالقلبي والغرب بالعقلي، وعللوا ما ذهبوا إليه بظهور الأنبياء من الشرق والفلاسفة من الغرب.

ما يدعو للأسف اليوم أن هناك الكثير من المغالطات والضلالات، وعلى رأسها تلك المتعلقة بمشاكل الإنسان. ولكن القرآن يقف بعيداً عن كل هذه، ويعمل على إيراد أمثلة ملائمة لفهم الإنسان ومستساغة لإدراكه، ويقول في معرض إيراده هذه الأمثلة:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (البقرة: ٢٦)

وبذلك فإن القرآن الكريم يبيِّن لنا بأن الحقيقة ليست أكثر من المسؤوليات التي ألقتها الدنيا التي نعيش فيها على عاتقنا، ويوصينا بضرورة النظر بحكمة إلى الأشياء الخارجة عن نطاق عقلنا وإدراكنا. ويخبرنا القرآن بعدم ضرورة ذهاب الإنسان بعيداً بشأن أي مسألة من المسائل، وأنه يستطيع تحديد موقعه أمام خالقه حتى من خلال التأمل بالخصائص الخلقية للإبل.

أي إن القرآن يخبرنا بأن الشيء الذي يبحث عنه الإنسان لا يكمن في الحياة العلمانية وفقاً للمفهوم الرأسمالي المنتشر اليوم؛ وإنما يكمن في نور القرآن. وأول رسالة يوصلها إلينا ويعلِمُنا بها هي أن المعقول ليس ما يستنتجه الإنسان ويستدل إليه، وإنما المعقول هو الخطاب القرآني.

ويضع القرآن لنا آلية التفكير الصحيحة بقوله:

{وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (الرعد: ٤)

إن الإنسان المعاصر الذي يحاول اللحاق بركب التقدم يواصل ليله بنهاره من أجل الأشياء التي عدَّها من حاجاته العصرية الضرورية. وعندما لم ينل شيئاً في النتيجة، لم يزدد إلا تعاسة وضيقاً. إننا نحشر أنفسنا في امتحان غير ضروري ولا مطلوب في ساحة هذه الدنيا، لأن ثقافة الإنتاج والاستهلاك ليست من الأولويات التي يضعها القرآن بين أيدينا. ومما يدعو للأسف والأسى أننا لم نعد نعرف ما النعمة الحقيقية، ولا أي نعمة تحمل القيمة الأهم.

غير أن القرآن يخبرنا بأن فيه منطقاً سليماً مثل وصفة طبية لتنظيم حياة الناس الدنيوية والأخروية على حد سواء. لهذا فإنه يقدِّم أمثلة عن حياة ضمن قوانينه التي وضعها تلائم سائر الكائنات في الأرض والسماء. وفي هذا السياق يرى أنه من غير اللائق التدخل في قانون التطور الطبيعي للفرد، ويرى أنه من غير المشروع الإخلال بنظام الحياة لحيوان ما. إذ إنه عندما يتحدث عن الحكمة الكامنة في الحيوانات، يشير بأنه جزء لا يتجزأ من هذه الأرض. ويُذَكِّر الإنسان بأن الدنيا ليست ملكه وحده فقط، ويقدم أمثالاً من الطبيعة والسماء والأرض، ويأمر باستهلاك النعم بطريقة واعية ورشيدة.

ويشير بالأسلوب ذاته إلى الإنسان وحُسن خَلْقِه، ثم ينصح الإنسان الذي يمتلك جسماً سيبلى يوماً ما وعمراً سينقضي، بأن يستثمر حياته وجسمه وعقله في سبيل الحياة الباقية التي وُعِد بها؛ لذلك كله يوصي الإنسان دائماً بالتفكر وإعمال العقل.

وإذا أردنا أن نربط الموضوع بحديث نبوي شريف فإننا نورد الحادثة الآتية:ذات يوم زار أمَّ المؤمنين عائشة ﵂ رجلان من الصحابة، فقال أحدهما: حدِّثينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ.

فقالت أم المؤمنين ﵂: "أتاني رسول الله ﷺ ذات ليلة فقال: يا عائشة ذريني أتعبد لربي عز وجل؟ قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما يُسِرُّك. فقام فتطهر

ثم توضأ، ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بلَّ حِجره، وكان جالساً فلم يزل يبكي حتى بلَّ لحيته، ثم بكى ساجداً حتى بلَّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أفلا أكون عبداً شكوراً، وما لي لا أبكي، وقد نزلت عليَّ الليلة آية ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٠) ".

فيشير الحديث الشريف إلى أن أصح شيءٍ هو التفكر، ولكن التفكر المتعقل المنطقي، وبهذا التفكر يدرك العبد مدى صغر حجمه وشأنه في هذا النظام الكوني العظيم، ويفهم عجزه وفقره، فيهدم قلاع الكِبر التي أشادها، ويفرغ قلبه من العجب والغرور، ويُعِد الأرضية اللازمة لبث الله تعالى رحمته في ذلك القلب.

وكما أن مياه الأمطار تتجمع في البِرَك، فإن رحمة الله أيضاً سوف تتجمع باستمرار في قلب العبد الذي عَقِل وعمل بما عقله، ثم عرف مكانه وموقعه في الكون.

وصفوة الكلام أنه إذا ما أردنا إيجاد تركيب بين مكونات الإسلام وغيره من الأديان الأخرى، فإننا ننطلق من نكتةٍ لجُحَا، عندما قال لرجل جاءه وقد فقد إبرته في الظلام: "اذهب وابحث عنها في النور"، فنقول: إن إرشادات سائر الأديان المنتشرة في العالم التي تعرضت للتحريف والتشويه ما هي إلا ظلام. والبحث مجدداً عن وجودها لا يكون في الظلام، وإنما ينبغي أن يكون على ضوء نور القرآن، فالقرآن قد أرى هذا النور للذين آمنوا به وعقلوه، وما يزال يريهم وسيبقى كذلك.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُون. إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيم﴾

التصوف هو تزكية النفس وتطهير القلب

أتى الإنسان إلى هذا العالم لكي يُمتحن في عبوديته، ولذلك أُبتلي بالنفس وشهواتها وأهوائها التي تلازمه حتى الموت، وحتى إن وصل الإنسان إلى أعلى درجات الولاية، فإن الثلاثي (الدنيا والنفس والشيطان) يقف له دائماً بالمرصاد من خلال الحيل والوساوس والخداع، ولذلك كانت العبودية تبدأ بالتخلص من هذه المهلكات، ثم النجاة من مغريات هذا العالم الفاني، والتحلي بالتقوى، والتوجه إلى الحق تعالى في نهاية المطاف.

ولهذا كان من الضروري تزكية النفس وتطهير القلب للتخلص من قابلية المعصية المركوزة في فطرة الإنسان، وزرع بذور التقوى، لذلك فكل إنسان مكلَّف بحسب استعداده وقدرته بمعرفة الحق تعالى، والارتقاء بهذه المعرفة إلى مرحلة العرفان، عبر العمل الصالح، وتسبيح المولى وشكره، وهذا هو معنى «العبودية» باختصار، أما الوصول إلى حقيقة العبودية فمرتبط بتزكية النفس وتطهير القلب، أي بتجاوز عقبة النفس وتحليتها بالأحاسيس الراقية، ولا يمكن نيل شرف درجة «الوصول إلى الله» و«اللقاء مع الله» إلا على هذه الصورة.

وجوهر القلب هو «موضع نظر الله تعالى» في هذا العالم، أي إن جوهر القلب ينال شرفاً رفيعاً بتجلي نظرات الله تعالى، وكما أنه لا يجلس على عرش القصر إلا السلطان، فلا ينبغي أن يكون في القلب الخاضع لمملكة الجسد غير الله تعالى، ولا بد من تطهير القلب بإزالة الأفكار النفسانية والميول الخبيثة والتعلق بما سوى الله تعالى، وإلا أُغلق الطريق أمام القلب للوصول إلى الألطاف الإلهية، وهذا لا يعني أن القلب لابد أن يخلو عن محبة الآخرين، فحين يستطيع المرء تزكية نفسه وتطهير قلبه ليصير قلبًا سليمًا، فإنه يتحرر من محبة غير الله تعالى، في حين لا يستطيع الآخرون أن يزيلوا تماماً من قلوبهم محبة المال والأولاد وما إلى ذلك مع اختلاف درجات هذه المحبة، فمثل هذه الأنواع من المحبة في الحقيقة مشروعة ما لم تتجاوز حداً معيناً.

ويكفي النظر إلى موقع القلب في الحياة المادية والمعنوية لإدراك أهمية تطهيره، وقد عرض النبي ﷺ أهمية القلب في حياة الإنسان حين قال:

«...ألا وإنَّ في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»

ويذكر مولانا جلال الدين الرومي -رحمه الله- أنه من العبث السعي لملءِ كيسٍ ما لم يُغلق الثقب في أسفله، وهكذا هي الأعمال، فالجليُّ أنه مع تطهير القلب تصبح هذه الأعمال وسيلة لسعادة المرء، فالأعمال بالنيات، والنية هي إحدى أعمال القلب، ويعد إصلاح النية وإخلاصها شرطاً في هذا السياق.

إلا أن حالة تزكية القلب هذه إنما ينالها المرء على يد أربابها بالتربية القلبية، فغاية أولياء الله تعالى من تربية القلب هي استشعاره بأنه دائماً مع الله أي بلوغ مرتبة (الإحسان)، وبذلك يصبح هذا القلب «قلباً حياً»، ولكي يصل القلب إلى هذا النضج، لابد من تطهيره مما سوى الله تعالى.

الأستاذ: دورمُش كوج

أسرار الحياة

تبدأ الحياة بصوت وبنفَس. إنها قدوم بصرخة، ولادة ببكاء، رعشة، تحسر، بعث غامض. ممر دقيق من حياة إلى حياة أخرى. صنعة عجيبة بديعة، وأمر معجز. ممر سري يربط عالم العدم مع عالم الوجود.

هجرة من عالم صغير إلى عالم عظيم. أسرار في أسرار، حكمة في حكمة، غموض بغموض، أمر في غاية العظمة. إنها حياة قاسية فانية غريبة لا تُدرَك بالعقول، ولا تمنح الأمان للإنسان أبداً، تُثقِل القلوب مع كل شهيق وزفير، لا تنتهي مرتفعاتها الشاقة، وممراتها المتعرجة. حياة وقتها قصير قِصر الصحوة من حلم، والغوص في منام. خط المشي عليها أحدُّ من السيف، مليء بالصخور المعيقة، متغيرة في كل لحظة، ولا تعرف آلامها ومعاناتها نهاية، وفاؤها قليل، وجفاؤها وفير. أحياناً تتعثر ثم تنهض وتمضي، وأحياناً تقف مندهشاً محتاراً. تبكي تارة، وتضحك تارة أخرى؛ وحيناً تفكر، وحيناً يسرح بك الخيال، ثم يحدوك الأمل والرجاء. أحياناً تتراقص روحك للقاء الأحبة، وفي أحيان أخرى تهوي في حال لا تطاق، فتمضي صارخاً متألماً. إنك تخرج من قلوب بعض الناس بسرعة البرق، وتدخل في قلوب آخرين دخولاً

من غير خروج. تذوب مثل الشمعة التي تحترق وتذوب، وتهترئ كما يهترئ كل جديد. وفي كثير من الأحيان تقلب أعمالك وشؤونك رأساً على عقب مثل الساعة المعطَّلة التي ترن في غير أوقاتها. ستصل ليوم لن يهتم بك مَن كنتَ تهتم بهم، ولن يمر بك الذين أحببتهم، ويدير لك الآلاف ممن أجزلت لهم العطاء ظهورهم. وتصبح يداك المرتجفتان المتعطشتان للرحمة والشفقة ألعوبةً للذين انتُزِعَت الرحمة من قلوبهم. عندما تقف عاجزاً في مأزقك، سوف تتابع بعين دامعة وبقلب كسير كل ما جرى والحيرة والدهشة تعلو وجهك. إنك لن تفلح بإقناع أحد حتى لو صدعت بالحق، وأجهشت بالبكاء، وضربت برأسك الصخور. فما أكثر الجموع التي تسير ضمنها وحيداً كسير القلب مطأطأ الرأس. فكما أن الناس الغرباء ينظرون إليك نظرة ملؤها العجب والدهشة والغرابة، فإنك كذلك سوف تنظر إليهم بغرابة وتمضي في سبيلك. فماذا أنت فاعل بمن لا يراك، ولا يفهمك، وما يفتأ يتهرب منك؟

إنك لن تنظر في غالب الأحيان إلى المرايا الحزينة التي تُريكَ نفسك. ولن تعرف من تصادق، ومن تعادي. وحتى إن صادفت أمامك يوماً أهل القلوب الذين يفهمونك، فإنك سوف تمضي دون أن تبالي بهم. حتى وإن تركتك آلام الصمت والوحدة والوحشة عاجزاً فإنك سوف تمضي دون كلل، وتسير نحو هدفك. فماذا يمكن أن تفعل لإنسان شحيح الفهم، ضيق الأفق؟ سوف تنظر إلى مرآة الحياة التي تحدق بك ثم ستبكي بحرقة وألم. سوف تتعلم الصبر، وفي كل يوم يمر عليك ستعرف الصبر أكثر. سوف تشعل عود الثقاب على كل ما فقدته وتمحوها من دفتر الأمل بكل ألم ومرارة. إن ما يربطك بالحياة وصل إلى مرحلة وداعك، وإنك تمضي من وحدة إلى وحدة أشد منها. إنك في غالب الأحيان سوف تُدفَع، وتُزاحَم، وتُحاط بدائرة الغدر، ثم تنتهي وأنت تتحرق من داخلك. فإلى أين؟ وكيف؟ ولمَ ينبغي أن تتشبث؟ إن تموجات الحياة، وزوابعها، وعواصفها، وطوفاناتها، وكوارثها، ومتاهاتها، ومدها وجزرها، وممراتها المتعرجة، ورياحها العاصفة المريعة تبقى قائمة ولا تنتهي. والأسئلة التي حاولت حلها سوف تصبح ألغازاً معقدة وتمضي. والسلالم التي صعدت عليها من أجل التسلق سوف تنهار تحت قدميك. والوجوه المتبسمة سوف تُصفِّد يديك وقدميك مثل سلاسل الخيانة. والأعداء الذين يبدون أصحاباً سوف يدفعونك إلى الجروف والمنحدرات، وإلى حقول الألغام. يكادون من القلة لا يكونون خندقاً للاستقامة ولا مهداً للحقائق.

تبدأ الحياة بصوت وبنفَس. إنها قدوم بصرخة، ولادة ببكاء، رعشة، تحسر، بعث غامض. ممر دقيق من حياة إلى حياة أخرى. صنعة عجيبة بديعة، وأمر معجز. ممر سري يربط عالم العدم مع عالم الوجود.

إن الإنسان سوف يتقلب في الخطيئة والكذب مثل البطة التي تسبح مضطربة في الماء. فعندما تصدأ مرآة الأدب، وتغرق مرآة الكمال في الأوحال، وتتكسر مرآة المحبة والتقدير والاحترام، وتغبرُّ مرآة الإنسانية، وتتصدع مرآة الصدق والثقة، فإن الآلام والمصائب والكوارث سوف تتوالى تترى ولن تنتهي أبداً. سوف تحترق أحشاؤك، ويكتوي قلبك وأنت تصرخ وتستغيث، وتبكي والدموع تنهمر من عينيك مثل زخات المطر، ولن يكون هناك من يراك، أو يسمعك، أو يعلم بحالك. إنها حياة تبدأ عند النزول بيأس إلى ساحل العجز، وتكوي الإنسان دائماً بآلامها وأكدارها، حياةٌ متأرجحة ومتمايلة مثل قارب صغير تلطمه أمواج البحر الهائجة. حياة تحن في الشتاء إلى الربيع، وفي الربيع إلى الشتاء، وتراقب الطرقات بآلام

الحسرة والشوق في القلوب، حياة معقود مصيرها بخطوط القضاء والقدر، حياة لا ينتهي أملها وخوفها، ووهجها واضطرابها، وحزنها وألمها أبداً...

إنها ميدان المعاناة والمحن حيث نتصارع فيه بضراوة مع أنفسنا أحياناً، وأحياناً مع الآخرين، وفي أحيان أخرى مع رغباتنا وأمانينا. إنها ساحة امتحان حيث تشتد فيها الوحدة والعزلة، والخداع، والتخلي، والتعرض للإهانات. حياة تكوي بعضهم، وتقذف ببعضهم إلى وديان الحيرة والارتباك، وتدع آخرين ليتجاوزا العقبات والصعاب.

ومع ذلك كله فإن رحلة الحياة مستمرة بخطى حثيثة، وتسقط كل يوم ورقة من تقويم العمر، والناس ماضون إلى نهاياتهم الحتمية فإما إلى النجاة والخلاص، وإما إلى الهاوية.

لا نجد أثر الرحمة، ولا ذرات المحبة، فأين الذين يحبون ويشتاقون لبعضهم في الله؟

وأين الذين يتقاسمون اللقمة بينهم؟ وأين الذين يبكون سوياً في الأتراح، ويضحكون سوياً في الأفراح؟ أين هم؟ أين؟

سيوف الحقد والكراهية والثروة والشهرة تُغرَس في ظهور المظلومين والغرباء وتُعلَن الولائم والاحتفالات. تُغرِّد الألسنة كالبلابل وتنشد قصائد عذبة، ولكن الورود بائسة ذابلة شاحبة. يتدفق نهر الأمل إلى الفراغ، وتجري ينابيع الرحمة إلى المجهول، ويستمر نزيف جراح القلب دون توقف.

لم تعد غيوم العشق تجود بأمطارها، ولم تعد زهور الهيام تتفتح كسابق عهدها، وما عادت أمواج المحبة تتراقص مهتاجة سعيدة. صار التمسك بالحياة في غاية الصعوبة. فعواصف الظلم، والتهجم، والخوف، والتهديد، والاضطهاد تعصف بشدة في الدنيا. وما فتئ الذين فقدوا الرحمة والشفقة يقطعون حبال نجاة المظلومين، والغرباء، والتائهين.

بعضهم يطفئ شمعات الصداقة والصحبة، وبعضهم يُذكي نار العداوة والبغضاء. الدنيا تدور بلا توقف، والأشجار تيبس، والناس تموت، وهناك كثير من الناس يصارعون صراع الوجود في عالم العدم. ومطرقة الزمن تهوي ضاربة الماضي والمستقبل بلا هوادة ولا شفقة. فلم يعد هناك معذرة ولا عزاء. تتقادم الطموحات والآمال مثل الساعات التي بليت وعفا عليها الزمن. وبينما ننادي لنتمسك بالحياة، فإن كل الأمور التي تمسكنا بها تنسل من بين أيدينا، ثم تتركنا وتغادر. فكما أن النار المتوهجة تنطفئ وتتحول إلى رماد، وكما أن الشمس المشرقة تشرق ثم تغيب، فإن الحياة كذلك تضع حداً لكل رغباتنا وطموحاتنا. فيودع ما حصَّلَه الإنسان في كفيه ثم يمضي.

وفي الختام أحب أن أذكر أن الحياة الدنيا المكان الوحيد الذي نستطيع فيه أن نعمل صالحًا كي نفوز في الآخرة، فالحياة حقيقة سامية لا تسعها المسافة بين المهد واللحد.

وإذا كان الجواب عن سؤال "ما الحياة؟" السؤالُ الذي قد يخطر على بال الإنسان، هو سواد التراب وحجارة القبر، فماذا يمكن أن يكون أشد ألمًا من هذه الحياة؟

إن حياة كهذه ليست إلا لعبًا في الطفولة، وشهوة في الشباب، وغفلة في الرشد، وحسرة وندامة في الشيخوخة.

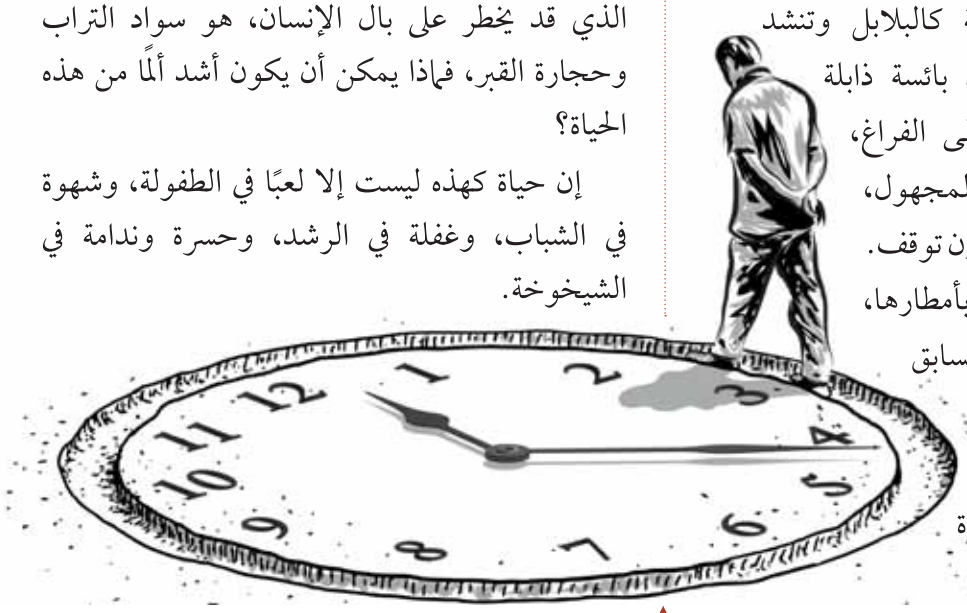

مراحل حياة الإنسان

لقد وضعَ الله سبحانه وتعالى خمس مراحل لحياة الإنسان، أولها عالم الأرواح، وثانيها رحم الأم، وثالثها الدنيا، ورابعها عالَم البرزخ، وخامسها حياة الخلود في الجنة أو النار. وجعَل تعالى المرحلة الثالثة من هذه المراحل مرحلة امتحان للإنسان، فربط بين أفعاله في هذا العالَم وبين السعادة أو العذاب في دار الخلود.

يقول الله تعالى في الآية الثانية من سورة الملك:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾

لكن العجيب أن الإنسان الذي يرى كيف تتبدل أحوال كل مخلوق فان في طاحونة الزمان يخدع نفسه في هذه الدنيا التي يُستضاف فيها لأيام، ويظن أن الموت بعيد عنه مع أنه يرى مشهد الجنائز دائمًا، ويحسب أنه صاحب الأمانات الفانية التي قد يفقدها في أي وقت.

وما أجمل قول مولانا جلال الدين الرومي في هذا الشأن:

«أيها السالك، انظر إلى الصورة الأخيرة في المرآة! وفكِّر في قبح الجميل عند هرمه، ومآل البناء إلى الخراب، ولا تغتر بالكذب في المرآة».

فالإنسان حينما يُجعَل لروحه لباس الجسد ويدخل الدنيا من بابها، فهو من ساعتئذ سائر على درب الموت.

فمَن عرفَ الموت، لم ينخدع بلذاذات الدنيا الفانية. ومَن أدركَ أنه سائر في رحلة الخلود، لم يقع قلبه في هوى زينة الدنيا التي يُستضَاف فيها لمدة قصيرة ولا في هوى زخرفها.

وما نفع أن يجمع المرء بين يديه نِعَم الدنيا الفانية كلها ويعيش في الدنيا ألف عام في سرور وحبور، إنْ كان مآله إلى حفرة ضيقة تحت التراب؟

والعجب العجاب أن الإنسان يعيش في هذه الدنيا راغبًا في العيش فيها عمرًا أطول، على أنه لا أحد يوم القيامة سيتحسر ويندم ويقول: «يا ليتني عشتُ في الدنيا أكثر»، بل ستكون حسرتهم على أنهم لم يأتوا الصالحات من الأعمال فيها، لأن الأصل في هذه المسألة: في أي شيء صرفَ الإنسان أنفاسَه في الدنيا.

والقبر في الأساس نموذج عن المحشر وإنْ بدا كومة من تراب ظاهرًا، فهو كما ورد في الحديث الشريف أولى منازل الآخرة، وسيكون وفقًا لاتباع صاحبه أوامر الله تعالى في الدنيا، كما قال رسول الله ﷺ:

«**إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**» (الترمذي، القيامة، ٢٦)

عثمان نوري طوباش

مِن حِكَم أولياء الله

جعفر الصادق رحمه الله – ٥ –

يقول جعفر الصادق رحمه الله:

"لأن أندم على العفو عشرين مرة، أحب إلي من أن أندم على العقوبة مرة واحدة".

يتصف المؤمن بالإنسانية في الحياة فهو يبذل قصارى جهده لأن يعيش مع أخوته في الدين بشكل حسن مهما كلفته هذه المعيشة من ثمن، وكذلك هو من الناس الذين يمكن أن يعاشر بالحسنة في المعيشة، وإذا ما وقع خلاف بين المؤمن وأخيه، فإنه يبادر إلى العفو والمسامحة، ويتغاضى عن أخطاء أخيه وتقصيره، حتى عن الدخول معه في جدال لتحديد صاحب الحق، فلا يقول لأخيه: "أنت مخطئ، والحق لي" وإنما يتسامى عن ذلك الجدال بالصفح والعفو، لأن المؤمن الذي يعلم حرمة هجران أخيه المسلم ومقاطعته لأكثر من ثلاثة أيام، فعن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال:

«لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمنا فوق ثلاث، فإن مرت به ثلاث، فليلقه فليسلم عليه، فإن رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم» (أبو داود، الأدب، ٤٧/ ٤٩١٢) ،

وأن المشاحنة والقطيعة مع أخيه المسلم إذا ما امتدت لسنة فإنها جرم كبير يعادل إهراق دمه، لا يمكن أن يفكر إلا بالعفو والتسامح مع إخوانه المؤمنين.

فإن من مقتضيات الإيمان والتقوى هي الإسراع في إصلاح ذات البين والتخلي عن رعونات النفس وأهواءها طلباً لمرضاة الله تعالى، حيث يقول الله ﷻ في الآية الكريمة:

﴿وَلَا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤)

وفي آية أخرى يقول:

﴿...فَاتَّقُوا الله وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١)

ويذكر في آية أخرى أيضاً:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ١٠)

وقد تضمّن كتاب أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ﷺ الذي بعثه إلى والي مصر مالك بن حارث الأشتر، معاني رائعة عن العفو والصفح، حيث يوصي فيه بما يلي:

"أشعر قلبك الرحمة بالرعية، والمحبة لهم، واللطف بالإحسان إليهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان، إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويُؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه، فإنك فوقهم، و والي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولّاك بما عرفك من كتابه، وبصرك من سنن نبيه عليه الصلاة والسلام.

... فلا تندمن على عفو، ولا تبجحن بعقوبة!..."

ومع هذا الذي ذكرناه آنفاً، فإنه يجب عدم التفريط بمعايير العفو والتسامح بخصوص كل أمر، فالعفو فضيلة بحق من يدرك خطأه ويعترف بذنبه، أما العفو عمن يصرّ على خطئه، وعصيانه، وظلمه فلا يعتبر من الفضيلة في شيء، وإنما على العكس من ذلك فإنه يعتبر عجزاً وضعفاً، وذلك لأن العفو عن المصرّ على خطئه وغلطته يعتبر بمثابة تشجيع له على تكرار خطئه مرة أخرى.

حيث يقول أحد الأولياء الصالحين:

"العدالة كسقاية أشجار الفاكهة، والظلم كسقاية الأشواك"

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ١٠)

ومن جهة أخرى، فإن العفو والمسامحة تكون في المسائل الشخصية التي وقع الخطأ فيها بحق الشخص المطلوب العفو منه. حيث أن هناك أخطاء تحمل في طياتها مساساً بالمقدسات الدينية، والقيم الوطنية، وتشكل انتهاكاً لحقوق المجتمع، ففي مثل هذه الحالات ينبغي من أجل إصلاح الأمر إيقاع العقاب بالمخطئ بدل العفو عنه، وتحقيق العدالة بإظهار الحق وإزهاق الباطل، لأن العفو عمن يرتكب مثل هذه الأخطاء يفتح المجال لآثام كثيرة وبالتالي وقوع مظالم كبيرة في المجتمع. وتروي لنا السيدة عائشة ﷺ سلوك النبي عليه الصلاة والسلام في مثل هذه الأحوال، حيث تقول:

"ما نيل منه -أي من النبي ﷺ - شيء قط. فينتقم من صاحبه. إلا أن ينتهك شيء من محارم الله. فينتقم لله ﷻ" (مسلم: الفضائل، ٧٩/ ٢٣٢٨)

يقول جعفر الصادق رحمه الله تعالى:

"إذا بلغك عن أخيك الشيء تُنكره فالتمس له عذراً واحداً إلى سبعين عذراً، فإن أصبته، وإلا فقل: لعل له عذراً لا أعرفه." (هاني: الحدائق، س. ١٣٢)

فالأخلاق الإسلامية تلزم المرء على الانشغال بنفسه والنظر في أخطائها وتقصيرها ومن ثم تلافيها وإصلاحها، بدل تتبع أخطاء الآخرين والتفتيش عن تقصيرهم.

وعلى المؤمن أن تكون نظرته إيجابية إلى أخيه بشكل دائم، فيتمنى له الخير ودوام النعم في كل أحواله، ويجب على المؤمن الحذر والابتعاد عن الخصال المذمومة مثل النزعات النفسية والوقوع في الحسد تجاه إخوانه المؤمنين التي تجره إلى تصيد أخطائهم ومن ثم إظهار النفس بمظهر الحق والاستقامة. حيث يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

"لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك" (الترمذي: القيامة، ٥٤/ ٢٥٠٦)

ومن جهة أخرى ينبغي على المؤمن تجنب سوء الظن بأخيه إذا ما رآه متلبساً بمعصية، وعدم التسرع في إطلاق حكم خاطئ بحقه، وإنما عليه الاحتياط لأمره والتصرف بأناة وحكمة، بتقليب المسألة على وجوهها لعل فيها غموضاً لم يدركه، أو أن لأخيه معذرة دفعته إلى ما هو فيه، لأن حسن الظن والمسامحة من آداب الأخوة الدينية التي حثّ الإسلام عليها كثيراً.

من جهة أخرى ينبغي على المؤمن تجنب سوء الظن بأخيه إذا ما رآه متلبساً بمعصية، وعدم التسرع في إطلاق حكم خاطئ بحقه، وإنما عليه الاحتياط لأمره والتصرف بأناة وحكمة، بتقليب المسألة على وجوهها لعل فيها غموضاً لم يدركه، أو أن لأخيه معذرة دفعته إلى ما هو فيه، لأن حسن الظن والمسامحة من آداب الأخوة الدينية التي حثّ الإسلام عليها كثيراً.

ويقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢)

وبذلك فإن الله تعالى أمر المؤمنين بتجنب الظن بإخوانهم، وحرم عليهم بشكل واضح التجسس، وتتبع عورات الآخرين، وفضح أسرارهم، وأخطائهم.

وإن من واجبات الأخوة الدينية المهمة في الأخلاق الإسلامية ستر عيوب الأشخاص المبتلين بالمعاصي إذا ما اضطلع أحد المؤمنين عليهم وهم متلبسون بها إذا لم تتجاوز آثار هذه المعاصي إلى الآخرين في المجتمع، ونصحهم بأسلوب لين ورقيق، وحثهم على تركها.

ونورد في هذا المجال حادثة تجسد هذه الحقيقة بصورة جلية:

بينما كان سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ يتجول ذات ليلة في شوارع المدينة المنورة، يتفقد أحوال الناس، تناهى إلى مسامعه من أحد البيوت صوت رجل يغني. فتسلق عمر الحائط وقفز إلى دار الرجل، وعندما وصل إلى الرجل رأى بجانبه جارية وقوارير من الخمر.

فصرخ بالرجل قائلاً:

يا عدو الله! هل ظننت أن الله تعالى سوف يسترك بينما أنت غارق في معصيته؟

فقال الرجل:

يا أمير المؤمنين، لا تتعجل بالغضب علي! إن كنت قد عصيت الله تعالى مرة واحدة، فإنك عصيته ثلاثاً:

الأولى؛ يقول الله ﷻ:

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ ، وأنت تجسست علي.

الثانية؛ يقول الله تعالى:

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ (البقرة: ١٨٩) وأنت تسلقت على حائط داري مقتحماً، ودخلت علي البيت من الخلف دونما استئذان!

وأما الثالثة، فيقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور: ٢٧) وأنت دخلت بيتي من إلقاء السلام!

فقال له عمر بن الخطاب ﷺ سائلاً:

- هل ستصلح نفسك إن عفوت عنك؟

قال الرجل:

- بلى، والله يا أمير المؤمنين! لئن عفوت عني، فلن أعود لمثل هذه المعاصي أبداً!

فعفى سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ عن الرجل وخرج من البيت.

يقول النبي ﷺ في الحديث الشريف:

"من ستر عورة أخيه المسلم، ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها" (ابن ماجه: الحدود، ٥/ ٢٥٤٦)

ويقول في حديث آخر:

"من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله" (الترمذي: القيامة، ٥٣/ ٢٥٠٥)

فكما أن النبي ﷺ الذي بُعث ليتمم مكارم الأخلاق لم ينشغل في حياته يوماً بتتبع عورات الناس، وفضح أسرارهم وعيوبهم، فإنه حرّم بشدة على المؤمنين أيضاً الانشغال بمثل هذه الأمور، والتلبّس بهذه الأحوال، حتى أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن يمعن النظر إلى وجه أحد لدرجة قد يفهم منها معنى التجسس، أو البحث عن العيوب.

ومن واجب المؤمن حفظ بصره وقلبه عن التجسس على عورات إخوانه المؤمنين، والانشغال بالتأمل في عالمه الداخلي، والبحث عن أمراض النفس والقلب في ذاته لإصلاحها.

وينبغي ألا يغيب عن بالنا بأن إحدى صفات الحق سبحانه وتعالى "ستّار العيوب" أي أنه يستر عيوب عباده وعوراتهم. ولذا فإن على المؤمن الحقيقي العمل على الاتصاف بهذه الأخلاق الإلهية على قدر استطاعته.

خير مثال نذكره عن صبر رضا سيدنا جعفر الصادق ﷺ، فقد مات بين يديه ولدٌ صغيرٌ له من غصة اعترته، فبكى، لكنه تذكر النعمة في هذا الوقت، وقال: «لئن أخذتَ لقد أبقيتَ، ولئن ابتليتَ لقد عافيتَ» ثم حمله إلى النساء فصرخن حين رأينه، فأقسم عليهن ألا يصرخن، ثم أخرجه إلى الدفن وهو يقول: «سبحان منْ يقبض أولادنا ولا نزداد له إلا حباً» ويقول بعد أن واراه التراب:

«إنا قوم نسأل الله تعالى ما نحب فيمنْ نحب فيعطينا، فإذا أنزل ما نكره فيمنْ نحبُّ رضينا»

يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النور: ١٩)

ويقول في آية أخرى:

﴿لَا يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٤٨)

إن إفشاء العيوب الشخصية لإخواننا في الدين بين الناس يحملهم على الدفاع عن هذه العيوب والأخطاء، وبالتالي فإن هذا الأمر قد يتسبب بابتعادهم عن أبواب التوبة وإصلاح أنفسهم، ولذلك فإن خير سبيل لتقديم النصح لهم، هو اللجوء إلى طريقة غير مباشرة تنبههم إلى أخطائهم بدلاً من مواجهتهم بهذه الأخطاء والمعاصي وجهاً لوجه والتي قد تدفعهم إلى النفور والعناد، ومن ثم تقديم النصح بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالكلام اللين، وإن هذا الأسلوب في نفس الوقت، أي التوجه إلى مخلوقات الله ﷻ والنظر إليهم بعين الرحمة والشفقة، هو من المظاهر الروحانية العليا.

لأن المؤمن كاملُ الإيمانِ عدوٌ للذنب وليس للمذنب، ولذلك فإن مشاعر الكره للذنب لا تمتد إلى المذنب، وإنما عكس ذلك تماماً، إذ ينظر إلى المتلبس بالذنب كإنسان عاجز عن التخلص من الذنب الذي وقع فيه، كما ينظر بعين الرحمة إلى طائر جريح يتلوى من الألم أمامه، حيث يتوجه إلى العاصي بالإرشاد والوعظ بأسلوب رقيق لين، من غير إهانة أو أذى، بدلاً من ملاقاته بالكراهية والتحقير والنفور، ويمد يد العون إلى ذلك الأخ الذي وقع في أوحال الذنوب لينتشله منها ويعيده إلى حياة نزيهة طاهرة، ويجهد في سبيل كسب ذلك القلب المنكسر ضمن مناخ من التسامح والعفو.

وإن خير مثال ونموذج لكيفية تعاملنا مع إخواننا المبتلين بالمعاصي تلك الحادثة التي يرويها لنا يزيد بن عصام، حيث يقول:

"لقد كان بالشام رجل قوي البنية مهاب الجانب، وذا نفوذ كبير، وكان يأتي بين الفينة والأخرى لزيارة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، وبعد فترة من الزمن لم يعد عمر ﷺ يرى ذلك الرجل، فسأل الناس من حوله:

– ما بال فلان، قد غاب عنا ولم نعد نراه؟

فقالوا له: – يا أمير المؤمنين! إن فلاناً قد أدمن شرب الخمر.

وعندما سمع عمر ﷺ هذا الكلام نادى كاتبه، وقال:

اكتب! مِن عمر بن الخطاب إلى فلان! السلام عليكم! أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ﴾ (غافر: ٣)

وعندما استكتب سيدنا عمر ﷺ الكتاب التفت إلى أصحابه وقال لهم:

– ادعوا الله تعالى حتى يعود أخوكم إلى الله ويتفضل الله ﷻ بقبول توبته!

المؤمن كاملُ الإيمانِ عدوٌ للذنب وليس للمذنب، ولذلك فإن مشاعر الكره للذنب لا تمتد إلى المذنب، وإنما عكس ذلك تماماً، إذ ينظر إلى المتلبس بالذنب كإنسان عاجز عن التخلص من الذنب الذي وقع فيه، كما ينظر بعين الرحمة إلى طائر جريح يتلوى من الألم أمامه، حيث يتوجه إلى العاصي بالإرشاد والوعظ بأسلوب رقيق لين، من غير إهانة أو أذى.

ولما وصل كتاب عمر إلى ذلك الرجل ظل يردد قراءة الآية الكريمة التي ضمنها عمر ﷺ في كتابه ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ...﴾ (غافر: ٣) ويقول باكياً:

– إن الله سبحانه وتعالى يخيفني بعذابه الشديد من جانب، ويعدني بالتوبة عليّ وغفران ذنوبي من جانب آخر، ومن ثم تاب وحسنت توبته.

وعندما بلغت توبة ذلك الرجل عمرَ ﷺ قال:

– هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أخاكم زلّ زلة فسددوه ووفقوه، وادعوا الله له أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه." (ابن كثير: التفسير، ٤، ٧٦)

يقول جعفر الصادق رحمه الله تعالى:

"الذنب الذي يسبقه خوف ويليه استغفار فإنه يقرّب العبد من الله تعالى، والطاعة التي يسبقها أمان ويليها كبر فإنها تبعد العبد عن الله تعالى، لأن ذا الطاعة الذي تعجبه نفسه بطاعته، هو في الحقيقة من أهل العصيان، وذا المعصية الذي يستغفر هو في الحقيقة في طاعة" (العطار: التذكرة، ص. ٥٥)

عندما اعترض الشيطان الرجيم على أمر الله تعالى واقترف معصية الأولى، وقع أسير استكباره وأنانيته وأصرّ على خطأه، فأصبح ضحية لعناده. وبذلك عرّض نفسه لِلعنةٍ من الخالق ﷻ.

وأما سيدنا آدم عليه السلام وأمنا حواء فقد استجابا لوسوسة الشيطان وأكلا من فاكهة الشجرة التي حرمها الله تعالى عليهما، وكان ذلك أول ذنب يرتكبه الإنسان، غير أنهما لم يعملا على اختلاق ذرائع لتغطية الخطأ الذي اقترفاه مثل الشيطان الملعون، وإنما أسرعا إلى الاعتراف بذنبهما والتوبة عنه بكل صدق وإخلاص.

وقالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٣)

فتجمّلا بفضيلة الرجوع عن الخطأ والمعصية، وتضرعا إلى الله تعالى ومغفرته بكل ندم وخجل، ونالا لطف الله تعالى بقبوله لتوبتهما واستغفارهما الصادق المليء بالإخلاص والدموع، وبذلك أصبحا مثلاً ونموذجاً لكيفية النجاة والخلاص من أوحال الذنوب والخطايا التي سوف تتعرض لها السلالة البشرية من بعدهما.

وليس بمقدور بني آدم الذي أُرسل إلى دنيا الامتحان هذه مع عدوين لدودين مثل الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، ليس بمقدوره البقاء معصوماً من دون الوقوع في الخطأ والنسيان نظراً لطبيعته البشرية التي جُبل عليها. ولذلك فإن من الأهمية بمكان ألا ينسى العبد ربه الغفور التواب كلما اقترف ذنباً، وأن لا يقطع أمله برحمته تعالى، وبالتالي يبادر بكل صدق وإخلاص إلى طلب المغفرة والعفو من الله تعالى ليتجاوز عن خطاياه ويغفر ذنوبه.

فكم من أناس مذنبين تائهين، وغارقين في ظلمات الخطايا قد أصبحوا من أولياء الله الصالحين بدموع الندم الصادق والتوبة النصوحة عن ذنوبهم أمام أعتاب الخالق ﷻ. ومقابل ذلك، كم من أناس تعرضوا لغضب الله ومقته وقد كانوا يظنون أنفسهم من أصحاب الجنة باعتمادهم على أعمالهم التي أغرتهم وأمَّلتهم بعلوّ درجتهم وقربهم من رحمة الله تعالى.

وكم من مذنبين اليوم يُنظر إليهم باستحقار وامتهان وبمرور الأيام يصلون إلى أعلى مراتب ودرجات التقوى ويصبحون أفضل ممن كانوا يستحقرونهم،

على الإنسان أن يكون في غاية الانتباه عندما يتحدث في المسائل التي لا يعلم بها إلا الحق ﷻ، والالتزام بالحذر الشديد في النطق بأية كلمة قد تتجاوز حدود الله تعالى، وينبغي عدم النسيان بألا أحد يعلم علي أي حال سينهي امتحان العبودية في هذه الحياة الدنيا إلا الله تعالى، وبناء على ذلك فإن المؤمن الصادق في إيمانه:لا ينخدع بحسن حاله، وبأعماله الصالحة، و لا يصيبه الغرور والتعالي كما لو أنه مطمئن على عاقبته السعيدة،ولا ينظر إلى الناس المذنبين والمخطئين باحتقار وامتهان، ليظهر نفسه بمظهر المتسامي عليهم بطريقة غير مباشرة...

وذلك بالتطهر من تلك الذنوب بالتوبة والاستغفار، وكم من زهّاد أفنوا عمرهم بالعبادة والتقوى، قد وقعوا في أهواء النفس وضحيةً لحبال الشيطان الذي زيّن لهم أعمالهم وأدخل الغرور في أنفسهم، فمحقوا أعمالهم وأضاعوا آخرهم... وخلاصة القول، ليس هناك ضمان لأحد في البقاء على الإيمان إلى آخر نفس، والوفاة على الإيمان ماعدا الرسل والأنبياء، والمُبشرين بالجنة.

وإن في الحادثة التي يخبرنا عنها النبي ﷺ خير عبرة لنا، إذ يقول عليه الصلاة والسلام:

" والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك"(مسلم: البر، ١٣٧/ ٢٦٢١)

إذاً يجب على الإنسان أن يكون في غاية الانتباه عندما يتحدث في المسائل التي لا يعلم بها إلا الحق سبحانه وتعالى، والالتزام بالحذر الشديد في النطق بأية كلمة قد تتجاوز حدود الله تعالى، وينبغي عدم النسيان بألا أحد يعلم علي أي حال سينهي امتحان العبودية في هذه الحياة الدنيا إلا الله سبحانه وتعالى، وبناء على ذلك فإن المؤمن الصادق في إيمانه:

- لا ينخدع بحسن حاله، وبأعماله الصالحة.
- لا يصيبه الغرور والتعالي كما لو أنه مطمئن على عاقبته السعيدة.
- ولا ينظر إلى الناس المذنبين والمخطئين باحتقار وامتهان، ليظهر نفسه بمظهر المتسامي عليهم بطريقة غير مباشرة...

ومرة أخرى يخبرنا النبي ﷺ بحادثةٍ فيها الكثير من العبرة والموعظة بخصوص الموضوع الذي نتكلم عنه، إذ يقول:

"كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر. " أي اترك الذنوب" فوجده يوماً على ذنب فقال له: أقصر.فقال له المذنب:خلني وربي، أبُعثت علي رقيباً؟

قال له المجتهد:والله لا يغفر الله لك، ولا يدخلك الجنة.فقبضت أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً، أو كنت على ما في يدي قادراً؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر:اذهبوا به إلى النار. فيقول أبو هريرة رضي الله عنه الذي روى الحديث:

– "والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته" (أبو داود: الأدب، ٤٣/ ٤٩٠١)

إذاً، إن الله تعالى وحده العالم بقلوب العباد، والعالم بتقلبات أحوالهم، فإنه يعلم السر وما أخفين وإن المسؤولية الملقاة على عاتقنا هي الانشغال بالتفتيش عن أخطائنا، والتجمّل بالتوبة والاستغفار

عن ذنوبنا، لأنه في هذه الدنيا الفانية كأننا نمشي في حقل مليء بالألغام، وينبغي الحذر والانتباه في كل خطوة نخطوها، وفي كل حالة نتقلب فيها.

ومما يجب عدم نسيانه أيضاً، أن الصفات الحسنة التي نعتقد أنها موجودة فينا قد توجد أفضل وأحسن منها في أشخاص لا نتوقع اتصافهم بها أبداً، ولهذا السبب فإن الاستخفاف بعباد الله ﷻ، والنظرة الدونية إليهم هي في الأساس استصغار واستخفاف بأنفسنا، وهي من الخصال المرذولة.

ولذلك فإن على المؤمن الاحتياط في أمره والحذر من الاستخفاف واحتقار عباد الله تعالى، وحتى الابتعاد عن هذا الأمر تجاه الحيوانات ومخلوقات الله ﷻ الأخرى.

وقد روي أن نوح عليه السلام صادف كلباً جريحاً في طريق، فامتنع عن النظر إليه وأدار وجهه إلى جهة أجرى، فقال له الكلب: يا نوح! هل تعيرني لحالي؟ وأنا الذي خلقني الله!

فإذا كان من الواجب التعامل مع الحيوانات التي خُلقت من أجل الإنسان يتطلب مثل هذه الحساسية والرقة، فمن السهولة إدراك ضرورة ووجوب الابتعاد عن استصغار البشر وتجريح مشاعرهم، وأن الوقوع في هذا الأمر خطيئة كبرى.

وحاصل الكلام، يجب على المؤمن عدم الاغترار بالنظر إلى أعماله الصالحة، والطريق الصحيح الذي يسير عليه، والابتعاد عن الاعتقاد بأنه من الناجين من عقاب الله وعذابه، وبالمقابل فإنه لا ينبغي أن ييأس بسبب ذنوبه ويقطع أمله من رحمة الله ﷻ، وإنما عليه الإقلاع عن الذنوب والمعاصي في الحال، واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى بالتوبة والاستغفار. حيث يقول الله تعالى في الآية الكريمة:

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر: ٩٩)

ولذا فإن على الإنسان أن يؤدي عبوديته لله تعالى بمشاعر تتقلب بين الخوف والرجاء إلى آخر نفس من حياته. لأن النبي ﷺ يقول في هذا الشأن:

"يموت المرء على ما عاش عليه، ويُحشر على ما مات عليه" (المناوي: فتح القدير، ٥، ٦٦٣)

ومع كل ما ذكرنا، فإنه ما ينبغي أن نتجاهل الاستثناءات التي يمكن أن تخرج عن هذه الحقيقة العامة، وذلك لأن القرآن الكريم والنبي ﷺ قد أخبرنا بأن أناساً يعيشون حياتهم على الاستقامة حتى يكونوا على وشك الدخول إلى الجنة فيعملون بعمل أهل النار ويكونون من الخاسرين للسعادة الأبدية، وبالمقابل فإن أقواماً يعيشون حياتهم في حالة بعيدة عن الاستقامة حتى يكونوا على وشك الدخول إلى نار جهنم، فيعملون بعمل أهل الجنة ويكونون من الفائزين.

على المؤمن عدم الاغترار بالنظر إلى أعماله الصالحة، والطريق الصحيح الذي يسير عليه، والابتعاد عن الاعتقاد بأنه من الناجين من عقاب الله وعذابه، وبالمقابل فإنه لا ينبغي أن ييأس بسبب ذنوبه ويقطع أمله من رحمة الله ﷻ، وإنما عليه الإقلاع عن الذنوب والمعاصي في الحال، واللجوء إلى الله تعالى بالتوبة والاستغفار. حيث يقول الله تعالى في الآية الكريمة:
{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} (الحجر: ٩٩)

ومرة أخرى يجب عدم النسيان بأن غضب الله ﷻ كما رحمته قد تتجلى في أعمال صغيرة أو كبيرة، وبناء على ذلك ينبغي علينا الحذر الشديد من اقتراف حتى أصغر الذنوب والخطايا، وبذل الجهد لاغتنام أيّ عمل من الخير حتى وإن كان من أصغر الأعمال.

وأخيراً أدعو الله ﷻ أن يؤلف قلوبنا على مرضاته، وأن يوفقنا جميعاً إلى الأعمال التي ترضيه، وأن يحسن عاقبتنا بلطفه وكرمه...آمين!...

من دروس
الشيخ محمود سامي
رمضان أوغلو

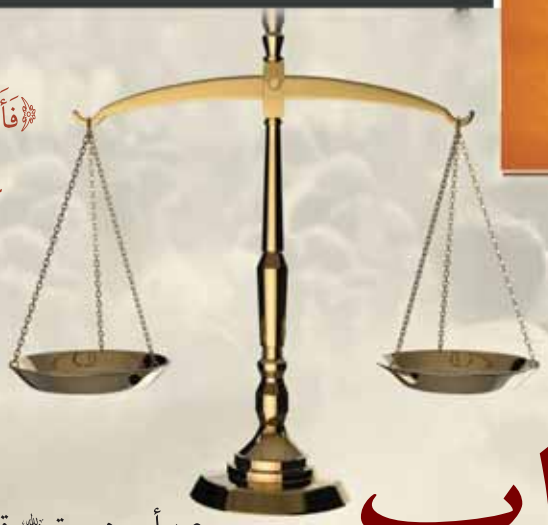

الحِسَاب

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ. وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ. نَارٌ حَامِيَةٌ﴾

[الْقَارِعَة: ٦-١١]

عن عائشة أم المؤمنين ﵂ أن رسول الله ﷺ قال:

"ليس أحد يُحاسَب يوم القيامة إلا هَلَكَ."

فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (الانشقاق: ٧ – ٨)

فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام:

"إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّبَ" (البخاري: الرقاق، ٤٩)

المقصود بالعرض إما عرض الناس على الميزان لكي تُوزَن الأعمال، وإما عرض الأعمال على أصحابها. فمِن الثابت والمعلوم بنص الكتاب أن حساب المفلحين الذين يُطلَق عليهم اسم (أصحاب اليمين) سوف يكون يسيراً يوم العرض. فيوم يُعرَض أصحاب اليمين للحساب فإنهم يُبشَّرون بالغفران، وإلى جانب عرض خطاياهم وذنوبهم عليهم فإنهم سيطَّلعون على النعمة العظمى. وأما الحساب الذي لا يُقرَن ببشارة الغفران فيكون ثقيلاً وعسيراً. والمناقشة إما أن تُفضِي إلى العذاب عندما يتبين أن الكثير من الأعمال التي يُظَن بأنها لصالح العبد غير مقبولة، وإما أن يبلغ من خضع للمناقشة منزلة السلامة وقد تعادلت أعماله فتكون المناقشة بذاتها عذاباً له. (ترجمة التجريد الصريح: ١/ ٨٤)

عن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول ﷺ يقول:

"إن أول الناس يُقضَى يوم القيامة عليه:

١. رجل استشهد، فأُتِيَ به، فعرَّفَه نعمه فعرفها. قال الله ﷻ: فما عملت فيها؟

قال الرجل: قاتلت فيك حتى استشهدت.

قال الله تعالى: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقَال جريء، فقد قيل. ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلْقِيَ في النار.

٢. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن. فأُتِيَ به، فعرَّفَه نعمه فعرفها. قال الله ﷻ له: فما عملت فيها؟

قال الرجل: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن.

قال الله ﷻ: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم. وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل. ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلْقِيَ في النار.

٣. ورجل وسَّعَ الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله. فأُتِي به، فعرَّفه نعمه فعرفها. قال الله ﷻ: فما عملت فيها؟

قال الرجل: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك.

قال الله تعالى: كذبتَ. ولكنك فعلت ليقال هو جواد. فقد قيل. ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه، ثم أُلْقِيَ في النار". (مسلم: الإمارة، ١٥٢/ ١٩٠٥)

من دروس
الشيخ
موسى طوبّاش

الرِّبَا

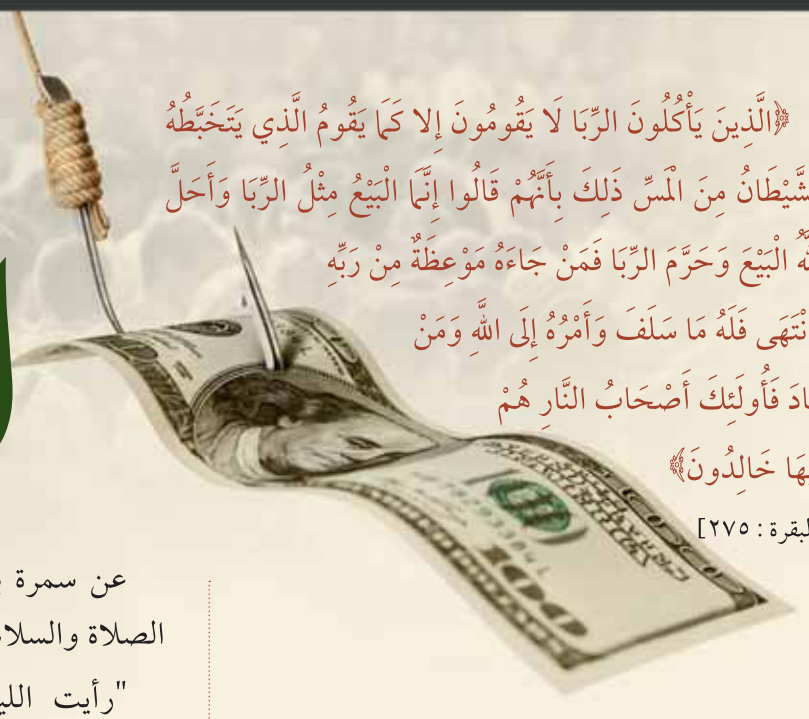

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[البقرة: ٢٧٥]

عن ابن عباس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ:

"من أعان بباطل ليدحض بباطله حقاً، فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله... ومن أكل درهم ربا فهو ثلاث وثلاثين زنية، ومن نبت لحمه من سحت فالنار أولى به".(الطبراني: المعجم الكبير، ١١، ١١٤/ ١١٢١٦)

وعن أبي أمامة ﷺ، عن النبي ﷺ وسلم، قال:

"يبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو، فيصبحون قد مسخوا خنازير، وليخسفن بقبائل فيها وفي دور فيها، حتى يصبحوا فيقولوا خسف الليلة ببني فلان خسف الليلة بدار بني فلان، وأرسلت عليهم حصباء حجارة كما أرسلت على قوم لوط، وأرسلت عليهم الريح العقيم فتنسفهم كما نسفت من كان قبلهم بشربهم الخمر، **وآكلهم الرِّبَا**، ولبسهم الحرير، واتخاذهم القينات، وقطيعتهم الرحم". (الحاكم: المستدرك، ٤، ٥٦٠/ ٨٥٧٢)

وورد ذكر هؤلاء الأصناف في حديث آخر:

- أربعةٌ حقٌّ على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها:

"مدمن الخمر، **وَآكِلُ الرِّبَا**، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه". (الحاكم: المستدرك، ٢، ٤٣)

عن سمرة بن جندب ﷺ، قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام:

"رأيت الليلة رجلين أتياني، فأخرجاني إلى أرض مقدسة، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد الرجل أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه، فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر، فيرجع كما كان، فقلت ما هذا؟

فقال: الذي رأيته في النهر **آكِلُ الرِّبَا** "

(البخاري: الربا، ٢٠٨٥)

وعن أبي هريرة، أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال:

«اجتنبوا السبع الموبقات».

قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال:

- الشرك بالله،
- والسحر،
- وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق،
- وَآكِلُ الرِّبَا،
- وأكل مال اليتيم،
- والتولي يوم الزحف،
- وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»

(أبو داوود: جـ٣، ١١٥/ ٢٨٧٤)

نسلي خان تُرك

مسؤولية الرجل بشأن مظهر المرأة

إن حِمل الحكام وأولي الأمر ثقيل للغاية. فهم مكلفون ومجبورون لما يتمتعون به من قوة بدنياً وقلبياً بحماية مكاسب ومصالح من هم تحت إمرتهم وولايتهم الدنيوية والأخروية، وتلبية احتياجاتهم المادية والمعنوية. فالحاكم راع ومسؤول عن رعيته. ولأن النساء ضعيفات بطبيعتهن الخَلقية وبحاجة إلى الحماية والرعاية فقد أسندت مسؤولية حمايتهن وإدارة شؤونهن للرجال. فكما جاء في الحديث الشريف:

"...فالرجل راع لأهل بيته، ومسؤول عن رعيته" (البخاري، الأحكام، ١)

إن الرجال قوامون على النساء ومسؤولون عن إدارة شؤونهن وتأمين حمايتهن بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم. حيث يقول الله تعالى:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ...﴾ (النساء: ٣٤)

وإن حق النساء على الرجال الإحسان إليهن في كسوتهن وطعامهن وشرابهن. (ابن ماجه، النكاح، ٥)

عندما يقوم الرجل نظراً لتفوقه االبدني والخَلقي بإدارة شؤون بيته وأسرته بحق فإنه يسمو ويعلو، وإن مثل هذا الرجل يحوز احترام وتقدير العائلة والمجتمع على السواء.

ومن جهة أخرى فقد تم التأكيد على الدور الكبير والمؤثر للرجل في حياة المرأة وفي تحديد نمط وشكل هذه الحياة، حيث قيل في الأثر:

"برّوا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعفوا تعفَّ نساؤكم". (الطبراني، المعجم الأوسط، ١/ ٢٩٩)

إلا أننا نشاهد في لقاءات ومقابلات الزواج اليوم حوارات عجيبة، حيث يوجه الرجال أسئلة من قبيل:

"ألا تفكرين بتقصير عباءتك، ووضع المكياج؟ أنا غني جداً. فهل إن اشتريت لك سيارة، لا تسألينني عن عدم إقامتي للصلاة؟ هل تعملين بأعمال حرة أم موظفة؟ لم تستغربين من سؤالي، فكيف سنشتري سيارة وبيتاً إن لم تعملي أنت أيضاً؟".

حسب الأحاديث النبوية والآيات القرآنية فإنه ليس هناك أدنى احتمال للرجولة والاحترام لدى الرجل الذي يوجه مثل هذه الأسئلة. فعندما يصبح ما يشغل تفكير الرجل/ الشاب أمور مثل: كيفية تربية عضلات أفضل، وصالون التجميل الذي سيلجأ إليه لإزالة الشعر الزائد من وجهه، وطريقة القضاء عليه، والماركة التي يريد ارتداءها للحصول على شخصية أكثر جاذبية ولفتاً للانتباه، والسيارة الفارهة لكي يصطحب معه الفتيات، فلن تبقى هناك قيمة للفتيات غير المتأنقات والجاذبات، واللاتي لا يزلن حواجبهن، ولا يعتنين ببشرتهم، ولا يرتدين الماركات، ولا يحملن الشهادات، ولا يكسبن المال، ولا يتزين لإثارة الغرائز.

لم يعد الرجل الذي أحضر إلى بيته مع تلفاز البلازما ذي الشاشة الكبيرة نساء بلاستيكيات مجهزة بشتى مظاهر الفتنة، ومزينة بمختلف أنواع المكياجات ومواد التجميل التي تعرضها تلك الشاشة، لم يعد يعجبه الزواج بالمرأة الحقيقية، ولم يعد الكثير من النساء يخرجن من صالونات الرياضة، ومراكز التنحيف والريجيم ليحصلن على مظهر فاتن يثير الإعجاب في عين الزوج العين المريضة التي جعلت المظاهر أساس الأمر.

لا شك أن الرجال الذين يتمسكون بهذه القيم الزائفة ويلهثون وراءها مسؤولون بدرجة كبيرة عن زيادة أعداد النساء والفتيات المدمنات على عمليات التجميل والجري خلف الأزياء والموضة.

وإن عاقبة وخيمة في الدنيا والآخرة تنتظر هؤلاء الرجال الذين جعلوا نساءهم في وضع صعب وحرج سواء في المجتمع أو في الحياة الخاصة وذلك بطلباتهم الجانحة المتجاوزة لحدود الحلال، وارتكبوا أعمالاً لا ترضي الله تعالى نتيجة لدخولهم إلى شبكة الانترنت وانغماسهم في مواقعها سعياً وراء رغباتهم المنحرفة دون أدنى شعور بالمسؤولية.

إن أولى نتائج عدم التزام النساء بالمعايير والمبادئ التي وضعها الله سبحانه وتعالى هي نبذهن من قبل أزواجهن. فعدد النساء اللائي يتعرضن للإساءة والتجريح بجمل قاسية مثل: "أستحي من اصطحابك معي!"، "ما هذا الحال، انظري إلى نفسك فقد صرت مثل جدتي!". ليس بقليل. وبمثل هذه المعاملة دُفع قسم من النساء البائسات للبحث عن مزيد من أنواع المكياج وعمليات التجميل، وارتداء ثياب أكثر زينة، وتماشياً مع صرعات الموضة؛ وأما القسم الآخر فصارت تُتهم وتعاب من قبل المجتمع بالتزمّت والتطرف الديني.

كثر الرجال الذين يضعون أيديهم بأيدي زوجاتهم، فيستعرضونهن أمام الناس وكأنهم يقولون: "زوجتي أجمل من زوجاتكم!". وأجبرت النساء اللاتي يُنادَين في العادة ب "امرأة/ زوجة" على محاولة أن تنادى ب "سيدة". وقد وصل بعض الرجال من البؤس لدرجة التباهي بجمال زوجاتهم.

والآن؛ يجب على كل الأزواج/ الرجال الذين ينظرون إلى الشوارع والميادين فيتذمرون ويشتكون من الحالة المزرية التي وصلت إليها،يجب أن يسألوا أنفسهم:

من الذي أتذمر منه؟ زوجة مَنْ؟، وابنة مَنْ؟، وأم مَنْ؟، وأخت مَن؟ حفيدة مَن، وعمة مَنْ وخالة مَن؟ زوج مَن، وابن مَنْ؟، وأخ مَنْ، وأب مَن؟ حفيد مَن، وابن أخ/ أخت مَن، وخال مَنْ، وعم مَن؟ ما هي نسبة مساهمتي في المظهر الذي يصيبني بالانزعاج والتذمر؟ وما فعلت، وأفعل لتصحيح الوضع؟ وما الذي بإمكاني

لقد صارت المرأة الضعيفة الشخصية التي لم تعد تحظى بالاهتمام في بيتها، ولا يغار عليها زوجها صارت منكبة على تحسين مظهرها في الخارج أكثر من البيت. ونتيجة لهذا السلوك بدأت بالتباهي بارتداء الثياب التي تكشف عن مفاتن جسدها في الشوارع والطرقات. وبعض النساء صارت تصاب بالاكتئاب وتُعالج نفسياً لكونها لا تشبه "باربي".

فعله؟ وأي ضعف أصابني حتى فقدتْ كلمتي تأثيرها على النساء التي تحت إدارتي؟ كيف سقطت حتى سقطن هن أيضاً في هذه الحالة المزرية والمؤلمة.

أما كنت رئيساً! كيف صرت أقوم بتأمين قوت عائلتي من مصادر لا ترضي الله تعالى؟ وأين ذهب احترامي ووقاري؟ أي حالة صرت فيها حتى لم أعد أستطيع أن أمنع زوجتي، وابنتي، وأختي من تجاوز حدود الله؟ لمَ أغرق في مستنقعات القروض والربا لتلبية طلبات عائلتي التي تفوق طاقتي وإمكاناتي المادية؟ وكم مرة وقفت إماماً أمام عائلتي للصلاة؟ وكم مرة قرأت كتاباً لابنتي؟ وأي أحاديث نبوية علمتها لزوجتي؟

أجل؛ إن حال الشارع يدعو إلى الاعتقاد بتغير أحكام القيم لدى الرجال، وبفقدان الرجال من أصحاب القيم لصفة الرياسة والقوامة. فلو أن الرجال نهضوا بواجباتهم ومسؤولياتهم في سبيل الله تعالى بدل تأنيب الذات لصار الحال مختلفاً. وطالما أننا نعيش في حياة لا تتبع فيها الزوجة، والابنة، والحفيدة القرآن والسنة بالرغم من وجود الزوج، والأب، والجد، وطالما أن الذئب يهاجم القطيع والراعي يكتفي بالمشاهدة فمعنى ذلك أن هناك أزمة ومشكلة جدية وخطيرة.

إن الرجل مسؤول عن تعليم وتربية المرأة وتقويم اعوجاجها، وتصحيح سلوكها وأحوالها؛ ولكن اقتصرت أولوية الكثير من الرجال على كسب المال. ومع كل أسف فإن الرجل العاجز عن حماية محارمه أعجز وأضعف في حماية محارم الآخرين. إذ بدأ الآباء المتساهلون واللامبالون يعذرون سفور بناتهم البالغات، وحتى يغضون الطرف عن تبرجهن الفاضح، وعندما اختلت الأفكار وانحرفت قل الواعظون والداعون إلى الحق أيضاً. إن الذي يصدر مجلات الأزياء للنساء المحجبات رجل. والذي يعتقد تعيين سكرتيرة ذات مظهر جميل وأنيق في المكتب معرفة وتطوراً رجلٌ. والغريب كل الغرابة أن مدراء وأصحاب الشركات المسلمة التي لا تتوانى عن استخدام صور الفتيات للترويج عما تنتجه من ملابس بالرغم من أنها ملابس رجالية هم رجال أيضاً!. ثم إن الذين يتذمرون فيقولون: "إننا نرتكب المعاصي بسبب النساء" هم رجال أيضاً.

فبالله عليكم ما تقولون لرسام ينظر إلى صورة رسمها ثم يتبرم ويقول "يا له من عيب مشين"؟

انظروا! إن المتبرَّم والمتذمَر منهم هم تحت إدارة من يتبرمون ويشكون سوء الحال. إن الرجل الذي لا يسيطر على نفسه، ولا يعمل في خدمة ربه عاجز وضعيف في مسألة تربية المسؤول عنهم، ومساهم بشكل ما في انتشار الفساد والانحراف داخل المجتمع بوتيرة أسرع. وعندما تتلاقى مشاعر التباهي والرغبة بالتبرج وإثارة الإعجاب لدى النساء مع الجشع والشره وغيره من الأمراض لدى الرجل فإن بروز مظاهر الانحلال يصبح أمراً محتوماً لا مفر منه.

ليس من حق من لا يقوم بمسؤولياته وواجباته في تطبيق أوامر الله تعالى والدعوة إلى تطبيقها التبرم والشكوى من النتيجة التي تظهر! وأما المحترمون الذين تكتوي قلوبهم من مظاهر الفساد المنتشرة، وينهضون بواجباتهم على أكمل وجه فلهم ألف دعاء بالتوفيق، وشكر، وتحية وسلام!!.

الرضا بقدر الله عزّ وجلّ

الدكتور كريم بولادي

إن الأحداث الجارية في العالم الإسلامي تؤلمنا كثيراً، وتترك بالغ التأثير في كياننا. لقد أمعنت أمة الإسلام في مخالفة روح الأخوة التي وضعها القرآن الكريم والسنة النبوية، فصارت قوتها المادية والمعنوية إلى اضمحلال. وفقد المسلمون القدرة على فهم التحذير الإلهي في القرآن الكريم القائل:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦)

فوصلوا نتيجة لذلك إلى عاقبة وخيمة اضطروا فيها إلى دفع فاتورة باهظة الثمن تتمثل في جرائم تنال من الشرف والكرامة الإنسانية مثل المذلة، والإبادة، والاحتلال.

فبدلاً من أن يقف أتباع القرآن العظيم في مواجهة المنكرين والظالمين مواقف تتسم بالحزم والشدة، والشجاعة، والعزة، والدراية، والثبات، نجدهم عكس ذلك تماماً إذ يشن بعضهم على بعض حرباً ضروسة لا شفقة فيها ولا رحمة ضاربين بالمنظومة الإيمانية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية عرضَ الحائط. وتُظهِر هذه الحال بوضوح مدى ابتعاد المؤمنين عن الخط الذي رسمه القرآن والسنة.

ليس هناك مؤمن لم يُصَب بالحزن والأسى نتيجة لهذا الشرخ الذي حصل بين المسلمين، والذي يزداد يوماً بعد يوم، وليس للمسلمين نجاة وخلاص من هذا الشرخ المؤلم والشديد سوى بالعودة إلى الكتاب والسنة، وإعادة تفعيل القواعد التي وُضِعَت فيهما.

لم يخلُ التاريخ من الحاقدين على المؤمنين، والحاسدين لهم على حياة الاستقرار والسلام والأمان التي يعيشونها، والتطور والتنمية التي يحققونها على الصعيد المالي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي. ولم يتوانَ المحتلُّون والطامحون إلى تحقيق رفاهية شعوبهم على حساب الشعوب الأخرى عن السعي

للسيطرة على حقوق الشعوب وثرواتهم التي على ظهر الأرض وباطنها. وقد أكَّدَ القرآن الكريم هذه الحقيقة منذ ما يقارب خمسة عشر قرناً، وحذَّر المؤمنين في هذه المسألة، إذ قال الله تبارك وتعالى:

﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ (التوبة: ٥٠)

إذا ما نظرنا إلى كلمتَي "حسنة" و "سيئة" في السياق الذي وردتا فيه، فإن "حسنة" تحمل معنى الظفر والنصر والغنيمة، وأما "سيئة" فتحمل معنى الهزيمة. إلا أن كلمة "حسنة" بالمفهوم العام تأتي بمعنى كل نعمة، وخير، وحال إيجابية تصيب الإنسان في نفسه، وجسمه، وسلوكه، وتمنحه السعادة والسرور. وتشمل أيضاً معنى اليسر، والبركة، والسعة، والغنى. أما كلمة "سيئة" فإنها على العكس من ذلك، إذ تشمل معنى الضيق، والجفاف، والجدب، والخسران.

وإذا أمعنا التفكير في معنى الآية الكريمة وفقاً لهذه المعاني، يتبيَّن لنا بأن المنكرين لا يريدون للمسلمين أن يعيشوا حياة تسودها الرفاهية، والسلام، والطمأنينة، والاستقرار، والأمان، ولا يرغبون أن يحقق المسلمون النمو والتطور الاقتصادي، والتقني، والاجتماعي، والسياسي وتسير حياتهم بنظام وسلاسة. إن الأحداث التي تجري في العالم اليوم تؤكد صحَّة محتوى الآية التي ذكرناها في الأعلى، وتثبت أن القرآن الكريم كلام معجِز.

وتؤثِّر هذه الأحداث فينا تأثيراً كبيراً لا يمكن وصفه، وتُغرقنا في الحزن والأسى والألم. فلهيب نيران الفتنة التي يُرَاد إيقادها بين المسلمين، والبخار الحارق الذي يرتفع من قدور الفساد التي يُرَاد غليها على تلك النيران، تكاد تكوي وجوهنا، وتذيب قلوبنا. ولكن على الرغم من كل ذلك ينبغي ألا نقع في اليأس وفقدان الأمل، فالانهزام النفسي يعني الاعتراف والقبول بالهزيمة مسبقاً. لكن الحيقية أنه لن يصيبنا إلا ما كتبه الله وقدره علينا. والآية التي نوردها فيما يأتي تهدئ من روع المسلمين وتمنحهم الطمأنينة وتقوي إيمانهم.

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ٥١)

إن وظيفتنا الأساسية بوصفنا مسلمين هي التوكل على الله، والثقة التامة به، واللجوء إليه. إلا أن التوكل ينبغي أن يكون بعد القيام بالواجبات والوظائف والأعمال الملقاة على عاتقنا وبعد العزم والثبات.

إن التوكل المجرد من محاولة العمل، والسعي، وبذل الجهود المطلوبة ليس إلا تمنٍّ فارغ يناقض ما جاء به القرآن. ولا بد للمؤمن المخلص الذي يشعر بالمسؤولية أن يتساءل حول مدى الجهود التي بذلها في سبيل الارتقاء بالمجتمع عقيدةً وأخلاقاً، وفي سبيل تحقيق وحدة صف المسلمين، وعن الأعمال التي قام بها من أجل إطفاء نار الفتنة، وما مدى تضحيته براحته ولو حتى بالدعاء من أجل وقف شلال الدماء والإبادات الجماعية التي تحصل في بلاد المسلمين. أي ينبغي أن يعلم المؤمن بأنه ليس من حقه التوكل إلا بعد أن يستنفد كل الجهود والطاقات التي بين يديه سواء كانت مادية أو معنوية. والنداء الذي أطلقه الشاعر محمد عاكف أرصوي في هذه المسألة ذو معنى عميق إذ قال:

عندما قالت الشريعة: "اعمل" لم تعمل، وأدخلتَ الكثير من الخرافات باسمها. وفوق ذلك أقحمت "التوكل" في المسألة، فحوَّلت بذلك الدين البريء إلى مادة للسخرية.

دع العمل وأْمُرْ من مكان جلوسك، ولا تتعَبْ، ما دام أن أجرَ المولى حسن.

سجِّل واجباتك حتى الصباح قبل الخروج من بيتك، واتلُ أعمالك واحدة تلوى الأخرى عند الانتهاء من دفترك

فإن ربي يرى كل أعمالك، فذلك وظيفته...

قد خفَّ حملك... أدخل الآن مباشرة إلى المقهى

الأهل والأولاد على الأرض من الجوع، أليس الهادي وكيل أمورهم، فتابع أنت لهوَك.

أليست خزائن إنعامه خزينة لك، فأَحِلْ إليه إذاً كل مصاريفك... فهو يعطيك

الله هو الذي يُعْمِل السلاح، والذي يحرس الحدود هو! انتهت عدتك، أليس كذلك؟ فهو يعوضك.

تحت إمرته جيوش من الملائكة، من أجلك أنت سوف يهزم الكفار.

هل ضاقت عليك الدنيا؟ يكفيك صوتك الحنون، قل: المدد! ليأتيكَ أو يرسلَ الخضر لك.

إن وُجد مريض في بيتك، دَيْنٌ عليه أن يرعاه، ويُسِيلَ الدواء من خزائن شفائه .

ينبغي للمؤمن أن ينفِّذَ كل واجباته، ولا يتردد لحظةً في التضحية المادية والمعنوية في هذه المسألة.

وبعد كل ذلك ينبغي أن يترك النتائج لله تعالى ويرجو منه الثواب.

وينبغي أن يلجأ إلى الله تعالى بعد أن ينفذ ما أمرَه به إذ قال:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا...﴾ ((الطلاق: ٢)

﴿...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٤)

ولا يدع مجالاً لليأس في قلبه، ويكون على يقين بأنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له.

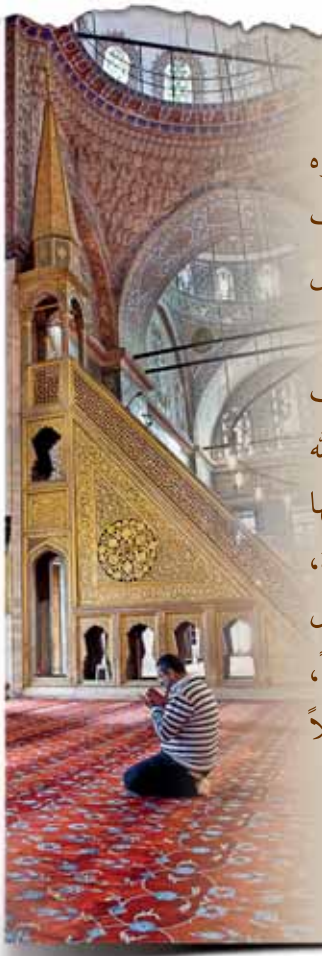

التصوف هو الرضا والتسليم لله ﷻ:

التسليم هو الخضوع المطلق لله تعالى والطاعة والاستسلام له سبحانه ولأوامره دون اعتراض، ومن هذا الجذر اللغوي نفسه اشتقت كلمة «الإسلام»، والتصوف يزرع في الأفئدة الشعورَ بالرضا والتسليم للحق تعالى كي يتمكن العبد من العيش على أساس الاستقامة والاقتراب من ربه أكثر فأكثر مع كل نفَس يتنفسه.

إن الرضا والتسليم للحق تعالى هما اللذان يخففان من تأثير الآلام والمصائب والمحن التي تُغرِق هذا العالم الفاني، حتى إن المصائب ببركة الرضا والتسليم لله تصير كأن لم تكن، وتتحول الابتلاءات إلى مسرَّات حين يتلقاها العبد على أنها منحة من رب العالمين له. والتسليم هو خضوع العبد لأوامر الله تعالى بكل سعادة، وقبوله -بعد الأخذ بالأسباب - لكل تجليات القدر بالرضا العميق، وخير مثال على التسليم هو امتثال سيدنا إبراهيم عليه السلام لأمر ربه وتقديم فلذة كبده قرباناً، وتسليم إسماعيل عليه السلام نفسه للتقدير الإلهي بكل رضا، وقد ضرب الله تعالى مثلاً هذين النبيين للناس أجمعين في التسليم:

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (الصافات: ١٠٣)

جعفر دورموش

شخصيتان بجملة

هناك آيتان في القرآن الكريم تبيِّنان أشياءً كثيرة بأقل عدد من الكلمات، إذ يقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا . قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ (الإسراء: ١٠١-١٠٢)

تبيِّن هاتان الآيتان تأييد الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام بالكثير من المعجزات، وتبينان أيضاً إصرار المنكرين والمتجبرين من أمثال فرعون على كفرهم وعنادهم. وتشير هذه الكلمات أيضاً إلى مصير الذين يواجهون سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام ويعارضون دعوته، إذ إنهم سوف يلقون المصير ذاته الذي لقيه فرعون ويتعرضون للهلاك مثله؛ فهي تشكل سنداً وعوناً للنبي عليه الصلاة والسلام ولأمته بشأن تحليهم بالأمل والتفاؤل الدائم في جهادهم وكفاحهم.

وتذكر الروايات التي وصلتنا أن فرعون وقومه الذين هُزموا وبُهتوا أمام المعجزات التي جاء بها سيدنا موسى عليه السلام مثل معجزة العصا، واليد البيضاء، والأخذ بالسنين، ونقص الثمرات، استمروا في إنكارهم بعد رؤية كل هذه المعجزات التي رأوها بأم أعينهم. فدعا عليهم سيدنا موسى عليه السلام:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (يونس: ٨٨)

فاستجاب الله تبارك وتعالى دعاء سيدنا موسى عليه السلام، وأنزل على فرعون وقومه العذاب على ما اقترفوه من الذنوب والمعاصي.

ولم يكتفِ فرعون بإنكار دعوة موسى عليه السلام والمعجزات المتلاحقة التي جاء بها، وإنما وجَّه إليه اتهامات وافتراءات، إذ قال فرعون:

﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (الشعراء: ٢٧)

وأراد بهذا القول الحط من شأن سيدنا موسى عليه السلام والنيل من اعتباره في نظر المجتمع.

إن جواب موسى عليه السلام على قول فرعون له: "يا فرعون،حتى وإن لم تقر وتعترف لسانك فإنك تعلم ذلك جيداً بقلبك. إذ لو أنك نظرت بعين عقلك لعلمت بأن المعجزات التي أتيتُ بها إنما أُعطيتها من رب العالمين لتكون عبرة للناس. إنك تدرك غاية الإدراك بأن كل معجزة من معجزاتي هي دليل واضح وصريح على صدق نبوتي وصحتها، إلا أنك تعاند وتستكبر ولذلك تنكر وترد كل ذلك.

يا فرعون، إنك تتكلم بما يتوافق مع هواك ومصلحتك، وليس بما يتوافق مع قلبك. وإنك تتكلم ليس من أجل تحديد الطرف المخطئ والطرف المصيب وبالتالي إظهار الحق، وإنما تتحدث بقصد احتقار خصمك الذي تخاطبه والاستهزاء به. وإنك تقول هذا من أجل خداع عقول الناس".

كان موسى عليه السلام يقول ذلك دون مبالاة بالإساءة التي وجهها فرعون لشخصه، ويقدم المعجزات التي تحدث الله تعالى عنها دليلاً على أن كلامه يمثل عين الحقيقة.

فلو أمعنا النظر والتفكر هنا لوجدنا أن الجملة التي تحدث بها كل طرف لمخاطبه ترسم لنا الميزات والخصائص الشخصية لشخصيتين مختلفتين. إذ إن كلاً من سيدنا موسى عليه السلام وفرعون كان ينظر إلى حال الآخر ويتحدث عن ظنه وتوقعه حول المستقبل. إلا أن الفرق الموجود هنا هو أن الظن الذي قدمه فرعون هو الظن الباطل، وأما الظن الذي قدمه سيدنا موسى عليه السلام فكان الظن الصادق. وقد تم من خلال شخصية فرعون بيان بأنه سوف يظهر في كل عصر وزمان شخصيات تعمل على تشويه صورة خصمها أو مخاطبها في حال شعورها بالانهزام والضعف أمامه فكرياً. وكذلك تم من خلال شخصية سيدنا موسى عليه السلام رسم خريطة الطريق التي ينبغي على كل من أخذ على عاتقه خوض معركة التوحيد اتباعها والسير عليها. وهناك إشارة إلى ضرورة إيجاد السبل التي تمكّن المرء من بيان الحقيقة حتى في أصعب الظروف والأحوال. وكذلك هناك إشارة إلى ضرورة الوصول إلى الناس المتكبرين والمعاندين نتيجة انخداعهم بمظاهر السلطة والثروة الدنيوية التي تملكوها، وتبين أيضاً وجوب تذكير المنكرين بالعاقبة الوخيمة التي تنتظرهم في المستقبل.

أجل. إن فرعون قال لموسى عليه السلام:

﴿...أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾

وقال له موسى عليه السلام:

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ (أي هالكاً)".

إن هاتين الجملتَين اللتَين استخدمهما بالصيغة نفسها الطرفان المتحاوران ولكن بِنيَّة مختلفة نموذجٌ مهم من النماذج المماثلة التي يصادفها المرء بشكل متكرر في القرآن الكريم. ومثل هذه الجمل ملفتة للانتباه من حيث فتح باب تحليل الشخصيتين المختلفتين.

إن هذه الجمل تعلمنا جميعاً ضرورة متابعة تبليغ الحق في سبيل الله دون الالتفات إلى إساءة المسيئين ونقد المنتقدين، وتعلمنا التحلي بالأمل والتفاؤل حول المستقبل، وتعلمنا وجوب تذكير العصاة والمنكرين بنهاياتهم المقدرة والمحتومة. وهي تبث الآمال الجميلة حول المستقبل، والأمل بالوصول الحتمي ذات يوم إلى مرحلة "الظن الصادق".

الأستاذ:دوران أكيزر

اللفظ و المعنى

كان العرب زمن نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ بقمة التفوق من الناحية الأدبية والبلاغة اللغوية. فكان الكلام سلاحاً مهماً وذو تأثير بليغ في مختلف ميادين الحياة. وخاصة الشعر، الذي كان أكثر أشكال التعبير استعمالاً لدى العرب، حيث كان يحمل في بنيته تأثيراً سحرياً على الأنفس والأرواح. فكانت الألفاظ والعبارات تنساب بشكل جميل ومؤثر حتى من فم أجهل الناس وأكثرهم بداوة بحيث يقع المستمع إليه تحت تأثيرها في الحال، وتظهر عليه حالة من الانتشاء والشعور بالطرب الروحي.

وكان الشعراء حسب ما تذكره المصادر بمثابة "وسائل الإعلام" للمجتمع العربي في ذاك العصر. حيث كان بإمكانهم إن شاؤوا رفع شخص أو قبيلة ما إلى أعلى مرتبة من الشرف والجاه والعز، أو النزول بهم إلى أدنى المراتب. وطبعاً فإن صفة الشعر هذه كانت تصدر من السجية البيانية (ميزة القدرة على التعبير عن المشاعر والأفكار) التي هي موهبة من الله تعالى للإنسان وحده، ومدمجة به. وإلى جانب ذلك فإن الكلام كان شيئاً قيماً في الظروف الاجتماعية والثقافية لذلك العصر. حيث أن الأشياء الموجودة في حياة عرب الجاهلية مثل الصحراء، والجياد، والإبل، والخيمة، والبيت البدائي المبني من اللبنات كانت أشياءً بغاية البساطة. وإن بساطة الحياة هذه كانت قد دفعت العرب للتعمق في عوالمهم الداخلية، ومن ثم أحدثت غنى كلامياً تمكنوا من خلاله التعبير عن المدارك الحسية التي ظهرت وبرزت في عوالم الروح.

ولما كان الكلام بهذه الدرجة من القيمة والأهمية فمن الطبيعي أن يكون قد برز دور الشعراء الذين هم أفضل من يستخدم الكلام، ويصبحوا شخصيات تحظى بالاحترام والتقدير في المجتمع. فكان تقريباً لكل قبيلة شاعرها الخاص والذي يلعب دوراً مؤثراً في مختلف فعاليات وأنشطة القبيلة.

إلا أن هناك حقيقة أكثر أهمية. وهي أن العبارة بغض النظر عن قوتها ومتانتها لغوياً لا تقدم فائدة لأحد إذا لم

تكن بالمستوى الذي يوصل إلى المعنى المراد التعبير عنه، وإلى الحقيقة والصواب. وقد حدث ذلك بالفعل. فعند إلقاء نظرة عامة إلى شعر العرب في الجاهلية يتبين أن هذه الأشعار كانت تدور حول مدح القبيلة، والعشق والحنين للحبيب، ووصف وتصوير الجياد والإبل، والعصبية القبلية، وحياة الصحراء، ورثاء وندب الموتى. وحتى وإن كانت هذه الأشعار تتناول أحياناً مواضيع ذات أهمية مثل الدعوة إلى مكارم الأخلاق، وتنمية الخصال السامية والحميدة القائمة في كيان وفطرة الإنسان، إلا أن ذلك يبقى أمراً ثانوياً وجزئياً وقليلاً.

إن أنماط الحياة والنظم الاجتماعية البالغة الفساد لدى العرب والتي كانت تتمركز حول القبلية تعرضت لاهتزاز كبير بظهور القرآن الكريم. فهو كان كلاماً عجيباً، فإلى جانب قوته التعبيرية والبيانية المعجزة، فقد كان من حيث المعنى الذي يحتويه يحمل عمقاً لم يُر مثله إلى ذلك الوقت. فكأن العرب الذين بلغوا الذروة في البيان والبلاغة والفصاحة والتي كانت مصدر فخرهم وتباهيهم، كأنهم أصيبوا بصدمة عندما ووجهوا بالقرآن الكريم. وكان سبب هذه الصدمة هو وقوفهم عاجزين أمام القوة التعبيرية والبيانية لهذا الكتاب الفريد والعجيب الذي يتعرفون عليه لأول مرة. إلا أن الأمر الأكثر تأثيراً من ذلك كان الحقائق التي احتواها القرآن الكريم حول الحياة وطبيعتها ومسارها. لأن العرب إلى ذاك الوقت لم تكن لديهم قضايا مصيرية مثل وضع نظام للحياة الشخصية والاجتماعية، والبحث عن الحقيقة. فأول ما أثار انتباه العرب من القرآن هو صفته الفريدة والتي لا مثيل لها المتمثلة بغنى العبارات والتعابير، وبعد ذلك بدأوا بالتفكير والتأمل بالمعاني العميقة والحكيمة التي احتوتها تلك العبارات.

وبالنتيجة دخل الأشخاص الذين تميل قلوبهم لقبول الحقائق إلى الإسلام فوراً. والحقيقة العجيبة والملفتة هي أن أغلب المسلمين الأوائل كانوا من الطبقات المسحوقة والدنيا في المجتمع.

إن أول ما فعله القرآن الكريم بشأن إعجازه هو تحدي البشرية. إلا أن هذا التحدي لم يكن مقتصراً على جمال اللفظ وحسن البيان والتعبير، وإنما كان في الوقت ذاته يشمل جانب الحكمة والحقيقة الكامنة في المعنى الذي يُعد لباس اللفظ ويشكل روح الكلام. لأن اللفظ الخالي من المعنى مثل الجسد الخالي من الروح. فإذا لم يكن الكلام الملفوف بالذوق الأدبي والمصاغ بتكلف وفن لفظي وتعبيري، إذا لم يكن يقود إلى الحق والحقيقة فإنه مجرد عبث لا طائل منه.

والحاصل؛ إن اللفظ والمعنى بمثابة جناحين لملكة "البيان" لدى الإنسان. فمهما عبرت عن الشيء بألفاظ وعبارات جميلة، وصغت معنى من المعاني شعراً بأحسن التصاوير وأدق الأوصاف، ونقلت المشاعر والأحاسيس إلى من تخاطبهم بأكثر الأساليب تأثيراً فإنها ليست بشيءٍ إذا لم تقد الإنسان إلى الحق والحقيقة. إذ أن الكلام في هذه الحالة يفتقد أحد جناحيه. وكذلك الأمر إذا لم يُعبر عن حقيقة ما بأسلوب جميل ومؤثر فيكون الجناح الآخر ناقصاً. فقد نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن التكلف والتنطع في الكلام بقصد تجميله أدبياً. وفي الوقت ذاته وصف نفسه بقوله: "أنا أفصح العرب".

إن كل الخصال الأخلاقية لدى عرب الجاهلية كانت قد تشكلت في إطار العصبية القبلية. فمثلاً كان العرب في ذاك الوقت يشتهرون بإكرام الضيف. إلا أن هذا الإكرام كان لإثبات وإظهار كرم ضيافة القبيلة. وكانت الشجاعة والفروسية والبطولة مقبولة وممدوحة عند استخدامها من أجل العصبية القبلية والقومية.

الدكتور. سليمان درن

عمر الشباب

يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحريم: ٦)

يطلب الله ﷻ منا أن نحمي أولاً أنفسنا، ثم أزواجنا وأولادنا من فتن الزمان ومفاسده. وإن هذا الهدف العلوي لا يمكن تحقيقه إلا بتعلم ديننا الحنيف تعلماً حسناً، والخضوع لتربية دينية رفيعة.

فيُعد تزويد أبنائنا وشبابنا بالعلوم الضرورية عن طريق المؤسسات التي تكسب خبرة في مجال هذه التربية الدينية أهم وظيفة ملقاة على عاتقنا في هذه الحياة. وللوصول إلى هذا الهدف السامي يتوجب علينا افتتاح المؤسسات التي تتولى القيام بمهمة تعليم كتابنا وديننا مهما كان الثمن.

حيث يقول الإمام الرباني الذي يُعد أكثر أهل التصوف معرفة بحساسية وأهمية هذه المسألة، يقول بشأن خيرية تعلم المسائل الشرعية ونشرها، وأفضليتها على سائر أعمال الخير الأخرى:

«إن إنفاق الملايين ذهباً (من النقود) في سبيل الله تعالى لا يعادل تأييد مسألة واحدة من المسائل الشرعية ونشرها. إذ أن هذا الأمر فيه اتباع للأنبياء والرسل الذين هم أفضل المخلوقات، والتعاون والعمل معهم.

وهنا يوجد أمر معلوم وهو أنه على الرغم من إنفاق الملايين ذهباً من نصيب غير الأنبياء أيضاً، إلا أن أعظم الثواب للأنبياء». (المكتوب: ٤٨)

بيد أن النجاح في هذا العمل ليس بالأمر اليسير. وذلك لأن تعلم الشريعة ونشرها بين الناس أمر لا ترغب به النفس:

وعلاوة على ذلك فإن تنفيذ أوامر الشريعة يحتوي على معارضة ومخالفة تامة للنفس. وذلك لأن الشريعة جاءت مناقضة للنفس. فالنفس لا ترضى أحياناً في مسألة إنفاق المال. أجل، إن إنفاق المال يحتل مرتبة عالية في مجال تأييد الشريعة ونشرها، فإنفاق شيء من الفضة بنية القيام بهذا العمل يعادل إنفاق الآلاف (من النقود) ذهباً بنيةٍ أخرى. (المكتوب: ٤٨)

إن هذا النوع من المؤسسات التعليمية والتربوية تتلقى الضربة الأولى والأقوى وبخاصة في الفترات التي يتعرض فيها المسلمون والإسلام للضغوطات، وتُعد رعاية هذه المؤسسات والاهتمام بها وحمايتها واجبنا جميعاً في الأوقات الصعبة.

ويضع أهل الله وأرباب التصوف الذين يدركون أهمية هذا الأمر كل ثقلهم باتجاه التعليم والتربية، ويبذلون جهوداً جبارة لافتتاح المؤسسات والمراكز التي تقوم بتعليم الإسلام.

إن التصوف لا يمكن إن يكون من غير علم كما يتوهم أو يظن البعض. حيث أن بداية كل الأحوال المعنوية والروحية تكون من العلم بها ومعرفتها. ولهذا فإن الإمام يدفع كل المؤمنين وعلى رأسهم الشباب إلى العلم والمعرفة:

إن علوم هذه الطائفة (الصوفيين) هي علم الحال. والأحوال نتيجة للأعمال. فالحال الموجودة في هذا الشخص نتيجة لعلومه، والعمل بها بانضباط وبشكل سليم، وبحقها. وإن أداء الأعمال بشكل سليم لا يكون إلا بمعرفتها، ومعرفة خصوصية كل عمل منها. وهذا لا يكون إلا بتعلم الأحكام الشرعية الخاصة بعبادات الصلاة والصيام وغيرها من الفرائض، والعلوم المتعلقة بالمعاملات من نكاح، وطلاق، وبيع وشراء، أي العلوم التي أوجبها الله تعالى على العباد ودعاهم إليها. وتُحصل هذه العلوم بالسعي والعمل والقراءة، ولا بد لكل شخص من تعلمها، فلا يمكن لأحد أن يكون بعيداً عنها. والعلم يكون بين مرحلتين، المرحلة الأولى تعلم العلم، والمرحلة الأخرى العمل به بعد تعلمه. (المكتوب: ٢٩)

مع أن هدف التربية الصوفية هو بالدرجة الأولى تحويل ما يتم تعلمه إلى عمل، إلا أن القيام بهذا الأمر متوقف أولاً على معرفة الأوامر والنواهي. ويريد الله تعالى من رب الأسرة التجمل بالصبر في مسألة تنفيذ الأوامر الدينية وبالتالي تعليمها. لأن هذا الأمر يُعد عملية طويلة تستوجب درجة عالية من الصبر والتحمل.

ما يدعو للأسف أن أغلب أرباب الأسر نسوا اليوم هذه المسؤوليات ظانين أن مسؤوليتهم تجاه الأسرة عبارة عن تأمين لقمة معيشة أفرادها فقط.

والحال أن الرزق تفضلٌ وعطاء من الله تعالى لعباده دون مقابل. ويذكرنا الله تعالى بهذه الأمر بقوله:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ (طه: ١٣٢)

كما أن أرباب الأسر وأولياء الأمور ممتحنون في مسألة توجيه شبابنا نحو التربية والتعليم الديني، فإن الشباب أنفسهم أيضاً خاضعون للامتحان في هذه المسألة. لأنه قد تمت إثارة شباب اليوم كثيراً في مسألة التعليم والتربية، فحُمّل الشباب اعتباراً من سن مبكرة بمصاعب وأعباء كثيرة للتمكن من الدخول إلى الكليات التي تجلب الاعتبار والتقدير من الناحية الدنيوية. وأما التعليم الديني فعلى العكس حيث صار يُنظر إليه وكأنه مضيعة للوقت. وذلك لأن النفس والشيطان يُنفران الإنسان من كل نشاط تعليمي يقربه إلى الله تعالى:

"إن النفس والشيطان اللذين يُعدان العدوَّين اللدودَين للإنسان يحاصرانه في مرحلة الشباب ويشغلانه. وبالمقابل فإن العبادة القليلة في عهد الشباب تكون ذات أهمية وقيمة كبيرة. ولا تبلغ مثل هذه القيمة أضعاف العبادات التي تؤدّى في مرحلة الشيخوخة التي لا تتعرض لهذا الحصار والتضييق. فحسب القانون العسكري فإن أدنى حركة أو جهد يقوم به الجندي عند هجوم العدو والتعرض للحصار يكتسب قيمة كبيرة للغاية. ولا يكتسب هذا الجهد مثل هذه القيمة وقت السلم وابتعاد خطر العدو.

فيا بني! لم يُخلق الإنسان الذي يُعد لب وجوهر وخلاصة كل الكائنات، لم يُخلق للهو واللعب، والطعام والشراب.

وإنما خُلق للقيام بواجبا ت العبودية، وإطاعة ربه، والتواضع، والاعتراف بالعجز والضعف أمامه، والتضرع واللجوء إليه..".

(المكتوب: ٧٣، ج ١)

لا شك أن الإصغاء إلى هذا النداء في هذا العصر الذي أثر فيه اللعب واللهو على حياة الشباب بشكل متزايد صار أصعب بالمقارنة مع الماضي. ولكن كما بين الإمام فإن ثواب خدمة الإسلام في الأوقات الصعبة أكثر من ثواب خدمته في الأوقات الطبيعية.

والنتيجة؛ لا يقتصر الخضوع للامتحان على الكبار فقط، وإنما يَخضع له في الوقت ذاته كل من وصل إلى سن البلوغ من الشباب. وفي هذا الموضوع ينبغي أن يوقظنا من غفلتنا جواب علي رضي الله عنه لنبينا عليه الصلاة والسلام عندما آمن به. فقد دعا النبي عليه الصلاة والسلام ابن عمه علي بن أبي طالب إلى الإسلام وهو صبي صغير، وأوصاه أن يستشير أباه أبا طالب في هذه المسألة. فرد عليه علي وهو لا يزال حديث السن بجواب ينمّ عن حكمة بالغة، حيث قال له:

"هل استشار الله تعالى أبي عندما خلقني حتى أستشيره عند الإيمان به!".

نسأل الله عز وجل أن يرزق شبابنا وشيبنا النجاح في هذا الامتحان الشاق. وأن يحفظنا ونحن نخوض الكثير من الامتحانات الصعبة من أجل الحياة الدنيا القصيرة، من الغفلة والكسل بشأن الاستعداد للحياة الأبدية. آمين.

الفتح

علي بويوك جابار

يقول رسول الله ﷺ:

«لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش» (أحمد: ٨٣٠٠)

إن فتح إسطنبول جعل هذه المدينة مقلةَ عيوننا لسنوات خلت. وتاريخنا اكتسب قيمته ومعناه بإسطنبول، فأخذ منها الشيء الكثير، وأضاف إليها قيماً عظيمة. بعد فتح إسطنبول ننتظر فتح روما!.. إن الجهاد في القرآن الكريم يعني "السعي في سبيل الله". والختم الذي يجعل الأرض وطناً يُصنع بالجهاد. إذ يشير كتابنا العظيم بأن الجهاد يكون بالمال، والنفس، والفكر.

تعرف الثقافةُ الغربية الإسلامَ من منطلق التعصب للذات، فتخنق الإسلام بالحدود التي تضعها، والتعاريف التي تختلقها. ولأن مفهومَي الجهاد والتصوف يُقيَّمان بعين الغرب، يصبح من المستحيل تقريباً حتى التحدث والكتابة عن هذه المواضيع باستفاضة وشمول.

لا بد من العمل على إفشال محاولات تشويه مفهوم الجهاد التي يقوم بها الغرب الذي يرى قتلَ الناس يومياً علماً ومعرفة.

إذ ما الذي يمكن أن يقدمه ويأخذه الغرب الذي لا يفتأ يتحدث بكل وقاحة عن الحروب الصليبية بمفهوم الجهاد الذي له موقع خاص في الإسلام؟

عندما ننظر إلى تاريخنا نجد بأن هناك ما يُعرف بـ"أحكام القتال"، فنجد أنه حتى الحرب تُحاط بمجموعة من القواعد والمبادئ الإنسانية وينبغي التقيد بها. فلا بد لنا اليوم من إعادة مفهوم الجهاد إلى ميدانه الخاص دون الانجرار إلى الفكر الشيطاني للإنسان الغربي.

من الجاني؟

يجب أن نُذكِّر الغرب الذي يقتل ظلماً وعدواناً مئات الآلاف من البشر باسم المصالح مرة أخرى بمبادئ الصلح والسلام. وفتح إسطنبول يشكل أرضية جيدة لهذه العملية، فالقيم المادية والمعنوية التي أضافتها الحضارة الإسلامية على إسطنبول قائمة وظاهرة للعيان. وحتى صرح آيه صوفيا ألم يصل إلى اليوم بهمَّة المعماري العثماني سنان وجهده؟

يجب ربط أيام الفتح التي شهدتها إسطنبول بروح الجهاد، وتقديم خصائص أحكام الإسلام التي تحيي الإنسان.

السلام مهم، ولكن كيف سيتوصل العالم إلى السلام؟

ينبغي بيان آلام الحرب القائمة المسكوت عنها للجميع في أيام الفتح بأسلوب وتعبير جديد.

لقد فقدت أمتنا أحلامها الكبيرة والعظيمة.

لقد صار إنساننا الذي يعيش تحت وطأة أوهامه ومخاوفه الذاتية يخشى حتى من خياله.

هل نجد في العالم أمة أهملت تجاربها ومنجزاتها التاريخية لهذه الدرجة؟

تُرى مَن هو ذاك الذي كان يقول إن أردتم السلام فنحن له، وإن أردتم النزال فنحن أهله؟

ينبغي تلقيح شعبنا المرتعد المنطوي على نفسه والمتجبن والذي يعيش كابوساً تحت وطأة الأوهام، والخرافات، والخشية على لقمة العيش، ينبغي تلقيحه بلقاح الفتح من جديد.

الدنيا يديرها الأبطال "الشجعان"!

إذا أردنا فهم السلطان محمد الفاتح الذي غيَّرَ مجرى تاريخ العالم بفتح إسطنبول، فينبغي أن ننظر أولاً إلى أنفسنا، ثم بعد ذلك إلى حال إسطنبول اليوم.

إن البطولة تتكون بالعمل الذي يستند إلى الجوهر، وروح الجهاد تصنع الرجال ثم ترشد إلى سبل تجاوز الصعاب والتغلب عليها من خلال سلام الإسلام وسماحته.

الأستاذ: إبراهيم كوج

التوبة

التوبة هي شعور الإنسان بالندم على الذنب، وطلب العفو من الله تعالى.

التوبة طهارة من أدران الذنوب، وتجديد العهد للمولى عز وجل بعد العودة إليها مرة أخرى.

التوبة مرور من الذنب إلى الثواب، وتحول من الشر إلى الخير.

التوبة عودة إلى الحق سبحانه وتعالى، وخروج من الظلمات إلى النور.

التوبة تطهر، وأمل الخلاص الوحيد للإنسان الملوث بالذنوب والمعاصي.

التوبة ندامة، وكل ندامة توبة.

التوبة إدراك العبد لخطئه والتراجع عنه، وإعادة الحياة المعنوية الفاسدة والمنحرفة إلى التوازن ووضعها على جادة الصواب من جديد.

فما أجمل السعي للتوبة التي تختلج لها القلوب قبل مجيء اليوم الذي تشخص فيه الأبصار وتبلغ القلوب الحناجر! فيا ليتنا نوفق إليها بأنين وزفرات وبشكل يردم الشرخ الذي تحدثه كل معصية!

أجل إن التوبة هي اسم لمثل هذه العودة. وكل توبة ليست كذلك فيهي كذب، وكل سلوك وادعاءٍ لا يقارنه الندم فهو خداع ومراوغة.

لأن إظهار الندم على الذنوب والمعاصي المقترفة دون إزالة آثار المعصية وتصحيح المسار، ودون حدوث اختلاج في المشاعر وذرفٍ للدموع ليس إلا محض ادعاء وهو بعيد كل البعد عن القبول.

فما أسعد من يدرك خطأه وذنبه ثم يسارع إلى التوبة منه!

التوبة إحساس بألم الخجل الذي تحدثه المعاصي، وشعور عميق بوخز الضمير والوجدان.

التوبة هي تعالي أنين وصرخات القلب نحو العرش في جوف الليالي الصامتة؛ وعنوان لتبلل المصلى بدموع الندم المنهمرة من العين!

التوبة هي جراح داخلية للعبد المسكين سببها الذنوب والمعاصي والآثام، وهي آهاته الصادرة من أعماق فؤاده المحترق، وأنين بكائه في الزوايا الخالية، ودموع عينه المنسكبة على سجادته.

تلك الدموع التي تشكل زينة التوبة من جهة وشهادة قبولها من جهة أخرى.

"إن الدمع الذي يسيل على خد المؤمن من خشية الله يحرم عليه عذاب الله (الأبدي) وإن كان بقدر جناح بعوضة!".

"وإن من تاب من ذنبه توبة نصوحاً كان كمن لم يذنب أبداً".

"وإن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر".

ومن أراد التوبة فليردد هذا الدعاء بخشوع تام:

"أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه...".

ومن استغفر الله وتاب إليه غفرت ذنوبه.

و ﴿مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الفرقان: ٧٠)

إن الله أشد فرحاً بتوبة عبده من فرح رجل حمل زاده ومتاعه على بعير، ثم سار حتى كان بفلاة من الأرض، فأضاعه، ثم وجده.

إن كل ذنب نقترفه، وكل شبهة تعتري عقلنا تفتح جرحاً عميقاً في قلوبنا وأرواحنا. وإن الذنوب تحدث في القلب نقطاً سوداء حتى يقسو ويخرج منه نور الإيمان، وينطفئ نوره.

وإن في كل ذنب طريق نحو الكفر. فإذا ما تاب منه العبد انمحى وزال.

إن المؤمن إذا أذنب كانت نقطة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر، صقل قلبه.

وجاء في الحديث النبوي:

"ما من عبد مؤمن يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الطهور، ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله، إلا غفر الله له".

"وم همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه شيء"، ولا يُحساب عليها.

"من استغفر بعد كل صلاة سبعين مرة غفر له ذنبه، ولم يخرج من الدنيا حتى يرى ما أعد له من حور عين وقصور في الجنة".

"يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي".

"من قال: سبحان الله وبحمده. في يوم مائة مرة. حُطت عنه خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر".

﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢)

"من أكثر من الاستغفار، جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب".

التوبة النصوح

النصوح يعني كثير النصيحة، وكثير الصدق والإخلاص. وإن توبوا توبة نصوحاً صادقة تنصح صاحبها بترك الذنوب، وتنجيه من المعاصي والآثام، يعني عودوا إلى الله تعالى. يعني ترك الذنوب في الحال، والندم على ما تقدم من المعاصي، وإبرام وعد بعدم ارتكابها في المستقبل، وإعادة الحقوق إلى أصحابها.

يقول الله ﷻ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (التحريم: ٨)

ويخبر النبي عليه الصلاة والسلام في حديث شريف أن الذي يتوب توبة صادقة ويثبت عليها ينال مرتبة الشهداء. غير أن من تاب وبقي على ذنبه كان كمن يهزأ بالباب الذي التجأ إليه.

وإن من يقول إني: "خائف من النار" ثم يصر على الذنوب، و "مشتاق للجنة" ثم لا يعمل الصالحات، و "أحب النبي" ثم لا يأبه لسنته مجرد مدعٍ مخادع لنفسه قبل غيره لا أكثر.

الأستاذ:مصطفى أريش

الخبير الأستراتيجي في المعارك

حباب بن المنذر الأنصاري

رضي الله عنه

الحباب بن المنذر الأنصاري ﷺ هو صحابي جليل قام بمهمة الاستشارة والخبرة الاستراتيجية في معارك رسول الله عليه الصلاة والسلام!

وهو الذي أبدى رأيه بكل إقدام وجرأة خلال معركة بدر، وخيبر في مسألة تموضع جيش المسلمين في ساحة المعركة، وتحديد مكان معسكر المسلمين، ولقي رأيه القبول!

وهو البطل الذي عُرف بين الصحابة باسم "ذو الرأي" بسبب آرائه الثاقبة والصائبة!

ينتسب الحباب بن المنذر الأنصاري ﷺ إلى قبيلة بني سلمة الخزرجية. ولذلك فإنه يُذكر أيضاً بلقب السلمي. وهو من كتاب الوحي، وخال الصحابي المنذر بن عمرو الساعدي ﷺ. كان عمره ﷺ لما شارك في معركة بدر وقام بمهمة حمل راية الخزرجيين فيها، في الثلاثة والثلاثي من عمره. ورأى أن موقع جيش المسلمين في ساحة معركة بدر غير مناسب، وقد سأل النبي عليه الصلاة والسلام عما إذا كان اختيار مكان معسكر المسلمين بناءً على أمر إلهي، أم هو الرأي.

ولما أخبره النبي عليه الصلاة والسلام بأن المسألة لا علاقة لها بالوحي، وجد الحباب ﷺ الفرصة المناسبة للتعبير عن رأيه وفكره حول المسألة بكل راحة قلب. فاقترح أن يتمركز الجيش عند أقرب بئر ماء للعدو، وأن يتم ردم الآبار الأخرى لكي يمنع العدو من الشرب منها فيتعرضوا للعطش والإنهاك.

وقد عُرف الحباب بن المنذر ﷺ في هذا الشأن ب "ذو الرأي". حيث أُقرت جميع الآراء والاقتراحات التي قدمها. وعلى ذلك فقد سمي هذا الصحابي بين الصحابة بصاحب الرأي لأن كل الآراء والاقتراحات التي قدمها كانت صائبة. وقد بين الحباب ﷺ رأيه واقتراحه في هذا الموضوع بشكل واضح وفق ما يلي:

"يا رسول الله إن هذا المكان الذي أنت به ليس بمنزل، انطلق بنا إلى أدنى ماء إلى القوم فإني عالم بها وبقلبها، بها قليب قد عرفت عذوبة مائه لا ينزح، ثم نبني عليه حوضاً فنشرب ونقاتل ونعور ما سواه من القلب".

فأعجب النبي عليه الصلاة والسلام الرأي والاقتراح الذي قدمه الحباب بن المنذر ﷺ. فأمر المسلمين بالتحرك ونزلوا في أقرب نقطة من العدو.

فأقاموا حوضاً على عين الماء الذي تمركزوا قربها، وملؤوها بالماء. ووضعوا فيها بعض الأواني من أجل شرب الماء بها.

ونجد للصحابي حباب بن المنذر ﷺ أيضاً اقتراحات مشابهة لما ذكرناه والتي أُقرت جميعها من قبل النبي عليه الصلاة والسلام، وذلك في غزوات كثيرة، مثل؛ غزوة خيبر، وغزوة بني النضير، وغزوة بني قريظة، وغزوة الطائف.

ففي غزوة بني النضير وبني قريظة تبنى النبي ﷺ اقتراحه بالتمركز في المكان المتوسط بين هاتين القبيلتين اليهوديتين مما أدى إلى قطع التواصل بينهم. ثم تبين بأن هذا الرأي هو الذي أوصى به جبريل عليه السلام.

لم يكن الحباب بن المنذر ﷺ يتوقف عند حد تقديم المشورات والآراء، والاقتراحات فقط، وإنما كان يظهر البطولات في ساحات القتال. فهو أحد الأبطال الذين لازموا النبي عليه الصلاة والسلام والتفوا حوله في غزوة أحد عندما اشتد القتال وحمي وطيس المعركة، وضاقت الأحوال بالمسلمين، وكان ممن لم يتوقفوا للحظة عن الضرب بالسيف والرمي بالسهام دفاعاً وذوداً عن سيد الخلق عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم.

وهو واحد من البواسل الذين كلفهم شمس العالمين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يوم أحد بالتحري عن تحركات العدو، وجمع المعلومات حول عددهم وعتادهم، وتحضيراتهم. يعدد الواقدي في كتابه المغازي أسماء الأبطال الشجعان الذين جعلوا من أجسادهم درعاً صلباً كالجبل حول رسول الله عليه الصلاة والسلام في غزوة أحد العصيبة، فيقول:من المهاجرين: سيدنا أبو بكر، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص. وطلحة، والزبير، وأبو عبيدة رضي الله عنهم أجمعين.

ومن الأنصار: أبو دجانة، والحباب بن المنذر، وعاصم بن ثابت، وحارث بن الصمة، وسهل بن حنيف، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير رضي الله عنهم أجمعين.

لم يكن الحباب بن المنذر ﷺ يخفي الفكرة التي يرى فيها صواباً. إذ كان يعبر عن رأيه دون تردد أو وجل، ويقدم اقتراحه. وقد كرر هذا النوع من التصرفات في مرات عديدة وفي كل مرة يقابل رأيه واقتراحه بالإقرار وحسن القبول، وينال الإعجاب. وفي غزوة خيبر أقدم على التصرف ذاته. إذ رأى بأن الموقع الذي نزل فيه الجنود المسلمون غير ملائم للمعركة. فسارع على الفور إلى مراجعة رسول الله عليه الصلاة والسلام وأطلعه على رأيه. واقترح التمركز في منزل بعيد عن مرمى سهام العدو إذا لم يكن هناك وحي بشأن تموضع جيش المسلمين. وقد بين رأيه، وقدم اقتراحه كما يأتي:

"يا رسول الله! إن هذا المنزل قريب من حصن النطاة،. يا رسول الله إن أهل النطاة لي بهم معرفة، ليس قوم أبعد مدى سهم منهم ولا أعدل رمية منهم، وهم مرتفعون علينا، وهو أسرع لانحطاط نبلهم، ونبلنا لا تصل إليهم، وهم يدرون أحوالنا ونحن لا ندري أحوالهم، ولا نأمن من بياتهم يدخلون في حمرة النخل. أي النخل المجتمع بعضه على بعض، ولو أمرت بمكان خالٍ عن هذه المفاسد نتخذه معسكراً، تحول يا رسول الله! أو نجعل هذه الحجارة والصخور السوداء بيننا فلا تصل إلينا نبالهم!".

كان الحباب بن المنذر ﷺ رجل محبة وصاحب فراسة. كان يقف على باب شمس الأكوان سيدنا محمد ﷺ في المدينة المنورة تحسباً لأية هجمة مباغتة قد يشنها الأعداء عليه. وقد شهد ﷺ معركة الخندق، وخيبر، والحديبية، وحنين. وحمل راية الخزرجيين في المعارك.

سلطان القلوب عزيز محمود هدائي

رحمه الله (١٤٥١ - ٨٢٦١)

اسمه محمود، و"عزيز" صفة لازمت اسمه في حياته وبعد مماته دليلًا على احترام المحبين له، أما "هدائي" فلقبٌ قد يكون شيخه أفتاده أول مَن لقبه به، كما أنه استعمل هذا اللقب اسمًا مستعارًا في أشعاره. ويُروَى أنه من نسل جنيد البغدادي، وهناك روايات تشير إلى أنه من آل البيت.

وُلِد هدائي في كوشهيصار بأنقرة عام ٩٤٨ هـ/ ١٥٤١ م. وأتم أول تحصيله العلمي في مدينته سيفريهيصار، وأتم علومه الشرعية في مدرسة كوجوك آية صوفيا بإسطنبول. لفت هدائي أثناء تلقيه العلم في المدرسة الشرعية أنظار أستاذه ناظر زاده رمضان أفندي، فعيَّنه مساعدًا له. وكان للتصوف آنذاك تأثير كبير وكان في قلب هدائي رغبة في التعمق في المعرفة وعلوم الباطن، لذلك كان يحضر آثناء تلقيه العلم في المدرسة الشرعية مجالسَ الشيخ نور الدين زادة مصلح الدين أفندي الذي كان من أرباب التصوف.

بعد أن تنقَّل هدائي بين مدارس شرعية مختلفة بإسطنبول مع أستاذه ناظر زاده، عُيِّنَ في مدرسة سليمية الشرعية بأدرنة. وكُلِّف هدائي مع أستاذه بالقضاء في القاهرة ودمشق. ثم عُيِّنَ ناظر زادة في منصب قاضي القضاة في بورصا، وعُيِّن هدائي مدرسًا في مدرسة فرهادية الشرعية، وصار نائب القاضي في محكمة الجامع العتيق.

حينما كان هدائي في بورصا حضر مجالس التصوف، ولازمَ مجالس الشيخ محمد محي الدين أفتادة الذي كان قطبًا في التصوف ببورصا. ولما أراد هدائي أن يكون مريدًا للشيخ أفتادة، طلب منه الشيخ ثلاثة أمور: أن يوزِّع كل ما يملكه على الفقراء، وأن يعتزل منصبَيه في المدرسة الشرعية والقضاء، وأن يجاهد نفسه عند الشيخ كي يستطيع تزكيتها.

فقبل هدائي هذه الطلبات. واستطاع بعد الخضوع لامتحانات صعبة من شيخه أثناء التربية المعنوية أن يتم ما عليه في مدة قصيرة لم تتجاوز الثلاث سنين، وعُيِّن في مهمة إرشاد الناس في سيفريهيصار. وتوجه بعد وفاة شيخه نحو البلقان وولاية روملي. ثم عاد من البلقان إلى إسطنبول، إلى عاصمة العلم والمعرفة. وسكن في منطقة كوجوك آية صوفيا حيث قضى أيام شبابه.

قرَّر هدائي في الوقت الذي كان فيه مشغولًا بإرشاد الناس بإسطنبول الانتقالَ إلى ناحية أسكدار، واشترى منها أرضًا لبناء تكية ومسجد، وبدأ ببناء مركز صوفي هناك. واستمر بالوعظ والإرشاد في مساجد مختلفة بإسطنبول. وله في منطقة شاملجة-بولغرلو زاوية صوفية كان يعتزل فيها أحيانًا وينشغل بالتعبد.

توفي الشيخ هدائي في الثالث من صفر عام ١٠٣٨ هـ (٢ تشرين الأول/ أكتوبر ١٦٨٢م) وترك وراءه مؤلفات كثيرة. وقبره في المقبرة الموجودة ضمن مركزه بأسكدار. والمسجد الموجود هناك بناه على نفقته. لكن عندما شبَّ حريق سنة ١٨٥٠ احترق المركز بأكمله، فأعاد السلطان العثماني عبد المجيد بناءه.